فضل بعض الأمور المتعلقة
بـالسفر - الثياب - الحجاب

الشيخ ندا أبو أحمد

الألوكة
alukah.net

الكتاب الجامع للفضائل
(٦٥)
فضل بعض الأمور المتعلقة بـ
السفر - الثياب - الحجاب

الشيخ/ندا أبو أحمد

فضل بعض الأمور المتعلقة بـ

(السفر - الثياب- الحجاب)

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:٧٠،٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ــ تعالى ــ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

أولًا: فضل بعض الأمور المتعلقة بالسفر:

١- فضل السفر بالليل.

٢- فضل الذكر والطاعة في السفر.

٣- فضل الإكثار من الدُّعاءِ في السَّفرِ.

ثانيًا: فضل بعض الأمور الخاصة بالثياب:

١- فضل من تبذل ولبس الدون من الثياب مع القدرة زهدًا وتواضعًا لله تعالى.

٢- فضل لبس الثياب البيضاء.

٣- فضل القميص.

٤- فضل الدعاء عند لبس ثيابًا جديدة.

٥- فضل من جاد بالثياب لمن يحتاج إليها.

ثالثًا: فضل الحجاب

١- الحجاب طاعة لله عز وجل وطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم.

٢- الحجاب دليل على تقوى الله.

٣- الحجاب عنوان للمرأة الحرة.

٤- الحجاب حياء.

٥- الحجاب ستر.

٦- الحجاب عفة.

٧- الحجاب طهارة.

صرخة إنذار لكل أخت متبرجة

أُختـاه... تذكري أن الموت قادم.

أُختـاه... تذكري لحظة دخولك القبر.

أُختـاه... تذكري شدائد يوم القيامة.

أُختـاه... تذكري وقوفكِ بين يدي الله الجليل.

أُختـاه... تذكـــري المـيـزان.

أُختـاه... تذكري يوم تشهد عليك الجوارح والأركان.

أُختـاه... تذكري تطاير الصحف.

أُختـاه... تذكري مجيء جهنم.

أُختـاه... تذكري الصراط وأهواله.

١- أُختـاه... لا أرضى لكِ أن تكوني ملعونة.

٢- أُختـاه... لا أرضى لكِ أن تكوني من المنافقات.

٣- أُختـاه... لا أرضى لكِ أن تكوني من المجاهرات بالمعصية.

٤- أُختـاه... لا أرضى لكِ أن تكوني سلاحًا وأداة هدمٍ يستخدمه أعداء الإسلام لهدم الإسلام، وإغواء الشباب.

٥- أُختـاه... لا أرضى لكِ أن تتبرجي تبرج الجاهلية الأولى.

٦- أُختـاه... لا أرضى لكِ أن يَثْقُلَ ميزان سيئاتك.

٧- أُختـاه... لا أرضى لكِ بأن تكوني ممَّن رضي بهذه الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون.

٨- أُختـاه... لا أرضى لكِ أن تطيلي الأمل فتسيئي العمل.

٩- أُختـاه... لا أرضى لكِ أن تكوني من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

١٠ - أُختـاه... لا أرضى لكِ أن تُحشرِي مع الكافرات يوم القيامة.

١١- أُختـاه... لا أرضى لكِ أن تكوني من أهل النار- أعاذك الله منها-.

شُرُوط التوبة: شُرُوط الحجاب:

أولًا: فضل بعض الأمور المتعلقة بالسفر:

١ - فضل السفر بالليل:

أخرج أبو داود والبزار عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" عليْكم بالدُّلجةِ[١] فإنَّ الأرضَ تُطوى باللَّيلِ[٢]". (صحيح أبي داود: ٢٥٧١) (السلسلة الصحيحة: ٦٨١)

في هذا الحَديثِ يُرشِدُ النَّبيُّ ﷺ المسافِرَ إلى الوقتِ المناسِبِ لسَفَرِه، فيقولُ ﷺ:" **عليكُم بالدُّلْجَةِ**"، أي: السَّفَرِ أوَّلَ اللَّيلِ، وقيل: السَّفَرُ آخِرَ اللَّيلِ؛ فإنَّ الأرضَ تُطْوَى باللَّيلِ، أي: تُقطَعُ المسافاتُ ليلًا أسرَعَ ما تُقطَعُ نَهارًا، وأنَّها تُقرَّبُ مَسافتُها بتَيْسيرِ المشيِ، وقَطْعِ ما لا يُرَى مِنها، معَ ما في ذلك مِن اعتِدالِ الجوِّ، بعَكْسِ النَّهارِ الَّذي تَشتَدُّ حَرارتُه فيَكونُ أكثَرَ تعَبًا، وخاصَّةً لِمَن يُسافِرُ في الصَّحراءِ.

٢ - فضل الذكر والطاعة في السفر:

فالملائكة تصاحب المسافرِ الذي يكثرَ من تلاوةِ القرآن، وذكر الرحمن ﷻ.

فقد أخرج الطبراني في الكبير من حديث عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما من راكبٍ يخلو في مسيرِه باللهِ وذِكرِه، إلا كان رَدْفَه ملَكٌ، ولا يخلو بشعرِه ونحوه، إلا كان رَدْفَه شيطانٌ ". (صحيح الجامع: ٥٧٠٦)

فهذا حال من يشغل تسجيلَ السيارة على تلاوةِ قرآن، أو محاضرات دينية مفيدة؛ فالملائكة تصحبه في سفره هذا، فيوفق في سفره، وأمَّا من يشغل المسجل على أغانٍ وموسيقى، صحِبته الشياطين. ولم يوفق في سفره هذا.

وكذلك الحال إذا نزل في مكانٍ ما، ترك أثرًا طيبًا في مكانه بقدرِ ما يستطيع.

فقد أخرج أبو داود من حديث أنس ﷺ قال:" كنَّا إذا نزلنا منزلًا لا نسبِّحُ[١] حتى نَحُلَّ الرِّحال[٢]". (صحيح أبي داود:٢٥٥١)

١- عليكم بالدُّلْجة: بضم فسكون اسم من أدلج القوم إذا ساروا أول الليل، ومنهم من جعل الإدلاج سير الليل كله، وكأنه المعنى به في الحديث لأنه عقّبه بقوله:" فإن الأرض تطوى بالليل، بصيغة العموم؛ أي تقطع بالسير في الليل.

٢- فإنَّ الأرضَ تُطوى باللَّيلِ: قال المناوي في" فيض القدير :٣٤٠/٤" : أي ينزوي بعضها لبعض ويتداخل، فيقطع المسافر من المسافة فيه ما لا يقطعه نهارا؛ سيما آخر الليل؛ الذي ما فعل فيه شيء إلا كانت البركة فيه أكثر، لأنه الوقت الذي ينزل الله فيه إلى سماء الدنيا". اهـ

فهم إذا نزلوا منزلًا حلوا رحالَهم أولًا، ثم صلَّوا، وهذا عملٌ طيب صالح يتركونه في أماكنِهم.

ومما يستأنسُ به في هذا المعنى ما ثبت في سنن أبي داود والترمذي من حديثِ أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من اضطجع مضجعًا لم يذكر الله فيه، كان عليه تِرَةٌ يوم القيامة، ومن مشى ممشًى لم يذكر الله فيه، كان عليه تِرَةً[٣] يوم القيامة". (الصحيحة:٧٤)

ومما يدل على هذا المعنى أيضًا ما رواه الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (الزلزلة:٤)، قال:" أتدرون ما أخبارها؟"، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال:" فإن أخبارها؛ أن تشهد على كل عبد أو أَمَة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عملت كذا وكذا، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها ".

فهذه الأماكن التي صلى فيها المرء، أو ذكر الله ﷻ عندها؛ ستشهد له يوم القيامة.

وأخرج الحاكم والبيهقي في "الأسماء والصفات" عن أبي الدرداءِ ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال:" ثلاثةٌ يحبُّهم الله ﷻ ويضحكُ إليهم: الذي إذا انكشفت فئةٌ قاتل وراءها بنفسِه لله ﷻ فإمَّا أن يُقتل وإمَّا أن ينصرَه الله ويكفيه، فيقول الله: انظروا إلى عبدي: كيف صبَّر لي نفسه؟ والذي له امرأة حسناء، وفراش لين حسن، فيقوم من الليل، فيقول: يذرُ شهوتَه، فيذكرني ويناجيني، ولو شاء رقد. والذي يكون في سفر، وكان معه ركب، فسهروا ونصبوا، ثم هجعوا، فقام[٤] من السَّحرِ في سراء وضراء". (السلسلة الصحيحة:٣٤٧٨) .

وعند الإمام أحمد من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ بلفظ:" ثلاثةٌ يُحِبُّهمُ اللهُ، وثلاثةٌ يُبغِضُهمُ اللهُ، أمَّا الثلاثةُ الذين يُحِبُّهمُ اللهُ: فرَجُلٌ أتى قومًا فسأَلَهم باللهِ، ولم يَسأَلْهم بقَرابةٍ بينَهم فمَنَعوه، فتخلَّفَ رَجُلٌ بأعْقابِهم، فأَعْطاهُ سِرًّا، لا يَعلَمُ بعَطيَّتِه إلَّا اللهُ، والذي أَعْطاه، وقومٌ ساروا ليلتَهم حتى إذا كان النومُ أحبَّ إليهم ممَّا يُعدَلُ به، نَزَلوا فوضَعوا رُؤوسَهم، فقامَ يَتملَّقُني ويَتْلو آياتي، ورَجُلٌ كان في سَريَّةٍ، فلَقوا العَدوَّ فهُزِموا، فأقبَلَ بصَدرِه حتى يُقتَلَ، أو يَفتَحَ اللهُ له، والثلاثةُ الذين يُبغِضُهمُ اللهُ: الشيخُ الزاني، والفَقيرُ المُختالُ، والغَنيُّ الظلومُ ". (صححه شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند)

١- نسبح": أي نصلي نافلة، والمقصود بالنافلة هنا صلاة الضحى ويدل على هذا؛ رواية أخرى عند أبي داود وفيها:" كنَّا إذا نزلنا منزلًا لا نسبِّحُ حتَّى نحلَّ الرِّحالَ أي لا نصلي الضُّحى ".

٢- حَتَّى نَحُلَّ الرِّحَالُ: أي: نَضَعَ الأَمْتِعَةَ التي على البَعير، فَيَرتاح بذلك.

٣- ترة: حسرة وندامة.

٤- أي: قام يصلي لله عز وجل.

٣- فضل الإكثار من الدُّعاءِ في السَّفرِ:

فيستحب من إكثارِ الدُّعاءِ في السَّفرِ؛ لأنَّه مستجابٌ.

أخرجه البيهقي من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ثلاثُ دَعواتٍ لا تُرَدُّ: دعوةُ الوالِدِ [١] لِولدِهِ، ودعوةُ الصائِمِ، ودعوةُ المسافِرِ [٢] ". (صحيح الجامع: ٣٠٣٢)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي واللفظ له من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ثلاثُ دعواتٍ مستجاباتٌ لا شَكَّ فيهِنَّ؛ دَعوةُ المظلومِ، ودعوةُ المسافرِ، ودعوةُ الوالدِ على ولدِهِ ". (صحيح الترمذي: ١٩٠٥) (صحيح الجامع:٣٠٣١)

ثانيًا: فضل بعض الأمور الخاصة بالثياب:

١- فضل من تبذل ولبس الدون من الثياب مع القدرة زهدًا وتواضعًا لله تعالى:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٨٣)

وأخرج أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ألا تسمَعون، ألا تسمَعون، إنَّ البذاذةَ [٣] منَ الإيمانِ، إنَّ البذاذةَ منَ الإيمانِ ". (صحيح الجامع:٢٨٧٩) (صحيح أبي داود: ٤١٦١)

وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ:" **أَلَا تَسمَعون، أَلَا تَسمَعون**"، أي: اسمَعوا ما أقولُ، وكَرَّرها بَيانًا لأهمِّيَّةِ ما سيُسْمِعُهم،" **إنَّ البَذاذةَ**"، أي: التَّواضُعَ في الهيئةِ والملبَسِ،" **مِن الإيمانِ**"، أي: مِن شُعَبِ الإيمانِ وجزءٌ منه،" **إنَّ البَذاذَةَ مِن الإيمانِ**"، كرَّرَها النبي ﷺ ليُؤكِّدَ سَماعَها،" والبَذاذةِ، أي: إنَّ رَثاثةَ الهيئةِ في اللِّباسِ والتَّحرُّزَ عَنِ التَّأنُّقِ في التَّزيُّنِ مِن أخلاقِ أهلِ الإيمانِ، والمرادُ به تركُ المبالَغةِ في التَّرفُّهِ.

١- ودَعوةُ الوالِدِ لوَلَدِهِ: الوالد؛ يشملُ الأم أيضًا؛ وقيل: لم تُذكَرِ الوالدةُ؛ لأنَّ حقَّها أعظمُ فدُعاؤُها أَوْلَى أن يُستجابَ له.

٢- ودعوةُ المسافرِ: أي في حالِ السَّفَرِ ولَمْ يَرْجِعْ بَعْدُ، بشَرْطِ أنْ يكونَ سَفَرُه ليس في أَمْرٍ مُحَرَّمٍ.

٣- البذاذةَ: هي رثاثة الهيئة وترك الزينة والرضا بالدون من الثياب مع القدرة زهدًا وتواضعًا لله تعالى.

وأخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " كم من أشعثَ[1] أغبرَ[2] ذي طِمْرَيْنِ[3] لا يُؤبَهُ لَهُ[4] لَوْ أَقْسَمَ على اللهِ لأبرَّه[5]، منهم البراءُ بنُ مالكٍ[6] ". (صحيح الجامع:٤٥٧٣)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعًا لِلَّهِ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ[7] شَاءَ يَلْبَسُهَا ". (صحيح الجامع:٦١٤٥) (السلسلة الصحيحة: ٧١٨)

ومعنى الحديث: أن من ترك لبس الثياب الحسنة النفيسة غالية الثمن، وهو يقدر على ذلك؛ تواضعًا لله، دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق، وخيره من حلل الإيمان يلبس من أيها شاء، جزاء له على تواضعه لله، وزهده في الدنيا، وبعده عن الخيلاء والتكبر والإسراف.

قال ابن علان-رحمه الله-:" **مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ**" أي أعرض عنه " **تَوَاضُعًا لِلَّهِ**" وتركاً لزهرة الحياة الدنيا " **وَهُوَ يقدر عَلَيْهِ** أما التارك للعجز فلا. (**دليل الفالحين**:٥/ ٢٨٤) .

وقال المناوي -رحمه الله-:" وقوله ﷺ:" **مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ**" أَي: لبس الثِّيَاب الْحَسَنَة المرتفعة الْقيمَة " **تَوَاضُعًا لِلَّهِ**" أَي: لَا ليقال: إنه متواضع أَوْ زاهد وَنَحْوه، والناقد بَصِير" **وَهُوَ يقدر عَلَيْهِ، دَعَاهُ الله يَوْم الْقِيَامَة على رؤوس الْخَلَائق** "، أَي: يشهره بَين النَّاس ويناديه و" **يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا** ". اهـ(**التيسير**:٢/ ٤٠٩)

١- كم مِن أشعَثَ: والأشعثُ: الذي يكونُ شَعرُ رَأسِه مُتفرِّقًا، غَيرَ مَدهونٍ.

٢- أغبَرَ: وهو الذي أصابَه الغُبارُ حتَّى تغيَّرَ ظاهرُ لونِه.

٣- ذي طِمْرين: الطِّمْرُ: بكسر الطاء، هو الثَّوبُ الخَلِقُ البالي.

٤- لا يُؤبَهُ له: أي: لا يُحْتَفَلُ به؛ لِحقارتِه.

٥- لو أقسَمَ على اللهِ لَأبَرَّه: أي: لو أقسَمَ على فِعلِه سُبحانَه بأنْ حَلَفَ أنَّ اللهَ يَفعَلُ كَذا أو لا يَفعَلُه، "لَأبَرَّه"، أي: لَصَدَقَه وصدَقَ يَمينَه، وأبرَّهُ فيها بأنْ يأتيَ بما يُوافِقُه.

٦- منهم البَراءُ بنُ مالكٍ: وهو أخو أنسِ بنِ مالكٍ لأبويهِ، وقدْ روَى أنسُ بنُ مالكٍ فيما أخرجَهُ التِّرمذيُّ: "ثمَّ إنَّ البَراءَ لقِيَ زَحفًا مِن المُشركين، وقد أوقَعَ المُشرِكون بالمُسلِمين، فقالوا: يا بَراءُ: إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: لو أقسمْتَ على ربِّك لَأبرَّك، فأقْسِمْ على ربِّك، فقال: أقسمْتُ عليك يا رَبِّ لَمَا مَنحتَنا أكْتافَهم، فمُنِحوا أكتافَهم، ثمَّ الْتقَوا على قَنطرةِ السُّوسِ، فأوْقَعوا في المُسلمين، فقالوا: أقسِمْ يا بَراءُ على ربِّك، فقال: أُقسِمُ عليك يا رَبِّ لَمَا مَنحتَنا أكتافَهم، وألْحَقْتَني بنَبيِّك، فمُنِحوا أكتافَهم، وقُتِلَ البَراءُ شَهيدًا"!

٧- حُلَلِ الإِيمَانِ: قال الترمذي- رحمه الله- يَعْنِي :" مَا يُعْطَى أَهْلُ الإِيمَانِ مِنْ حُلَلِ الجَنَّةِ ".

تنبيهان:

١- **المقصود بترك اللباس في الحديث**: أي ترك ارتداء الثياب الغالية الثمن النفيسة، التي لا يقدر على شرائها إلا الأغنياء. وضابط هذا: هو العرف، فكل ما كان من الثياب في عرف الناس وفي أسواقهم فاخرًا مرتفع القيمة، لا يقدر على شرائه إلا الأغنياء: فهو من ذلك. وقد يختلف هذا من مجتمع إلى مجتمع، ومن بلد إلى بلد، فقد يكون الثوب نفيسًا في بلد لا يقدر عليه أوساط الناس، ويكون الثوب نفسه في بلد آخر في متناول الجميع.

٢- هذا لا يعني أن لبس الثياب الحسنة مذموم، وأن الرجل كلما كان ثوبه رثًا، كان أكمل إيمانًا، وأعظم أجرًا ؛ فإن النبي ﷺ كان يلبس من أنواع الثياب، ويتجمل للوفود. **فقد أخرج الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ". قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ:" إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ ".**

وقال ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ ". (رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي) .

قال علي القاري-رحمه الله-:" قَالَ الْمُظْهِرُ: يَعْنِي إِذَا آتَى اللهُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا فَلْيُظْهِرْهَا مِنْ نَفْسِهِ، بِأَنْ يَلْبَسَ لِبَاسًا يَلِيقُ بِحَالِهِ، لِإِظْهَارِ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ، وَلِيَقْصِدَهُ الْمُحْتَاجُونَ لِطَلَبِ الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَاتِ، وَكَذَلِكَ الْعُلَمَاءُ: يُظْهِرُوا عِلْمَهُمْ لِيَسْتَفِيدَ النَّاسُ مِنْهُمْ. فَإِنْ قُلْتَ: أَلَيْسَ قد حَثَّ عَلَى الْبَذَاذَةِ؟ قُلْتُ: إِنَّمَا حَثَّ عَلَيْهَا، لِئَلَّا يَعْدِلَ عَنْهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَلَا يَتَكَلَّفُ لِلثِّيَابِ الْمُتَكَلِّفَةِ، كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ فِي عَادَةِ النَّاسِ، حَتَّى فِي الْعُلَمَاءِ وَالْمُتَصَوِّفَةِ، فَأَمَّا مَنِ اتَّخَذَ ذَلِكَ دَيْدَنًا وَعَادَةً، مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْجَدِيدِ وَالنَّظَافَةِ، فَلَا؛ لِأَنَّهُ خِسَّةٌ وَدَنَاءَةٌ ". اهـ **(مرقاة المفاتيح:٧/ ٢٧٨٣) .**

وعلى هذا؛ فالمسلم يلبس الثياب الحسنة أو المتواضعة، ويكون له نية حسنة في الحالتين، فيثاب على ذلك، ولكن الثياب الحسنة لها أحوال وأوقات تكون أنسب وأرغب فيها، وللثياب المتواضعة أحوال وأوقات تكون أنسب وأرغب فيها، والذي ينبغي لمسلم أن يراعي هذا، فيفعل كل فعل في الوقت والحال المناسب له.

ولذلك قال العلماء: إذا كان الرجل في بيئة متوسطة؛ فالأكمل في حقه لبس الثياب المتواضعة، وترك لبس الثياب الرفيعة، وإذا كان في بيئة ميسورة الحال؛ فالأكمل في حقه لبس الثياب الحسنة الرفيعة.

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في شرح الحديث السابق: " إذا كان الإنسان بين أناس متوسطي الحال لا يستطيعون اللباس الرفيع، فتواضع، وصار يلبس مثلهم، لئلا تنكسر قلوبهم، ولئلا يفخر عليهم، فإنه ينال هذا الأجر العظيم. أما إذا كان بين أناس قد أنعم الله عليهم، ويلبسون الثياب الرفيعة، لكنها غير محرمة، فإن الأفضل أن يلبس مثلهم؛ لأن الله تعالى جميل يحب الجمال، ولاشك أن الإنسان إذا كان بين أناس رفيعي الحال يلبسون الثياب الجميلة، ولبس دونهم، فإن هذا يعد لباس شهرة. فالإنسان ينظر ما تقتضيه الحال: فإذا كان ترك رفيع الثياب تواضعا لله، ومواساة لمن كان حوله من الناس: فإن له هذا الأجر العظيم. أما إذا كان بين أناس قد أغناهم الله، ويلبسون الثياب الرفيعة؛ فإنه يلبس مثلهم ". **(شرح رياض الصالحين:٤/ ٣١٧)**

والمقصود: أن الحديث يدل على الزهد والتواضع وعدم الإسراف، ولكن لا يدل على ترك اللباس الحسن بالكلية، واختيار الثياب الرثة دائما. **(موقع الإسلام سؤال وجواب)**

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أَبِي بُرْدَةَ بنُ أبي مُوسى الأشعريُّ قال: أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- كِسَاءً مُلَبَّدًا[1]، وقالَتْ: في هذا نُزِعَ رُوحُ النبيِّ ﷺ".

- وعند البخاري معلقًا:" أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- إِزَارًا غَلِيظًا ممَّا يُصْنَعُ باليَمَنِ، وكِسَاءً مِن هذِه الَّتي يَدْعُونَهَا المُلَبَّدَةَ ".

- وأخرجه الإمام مسلم بلفظ:" أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ-رضي الله عنها- إِزَارًا وَكِسَاءً مُلَبَّدًا، فَقالَتْ: في هذا قُبِضَ رَسولُ اللهِ ﷺ ".

ولُبْسُه ﷺ الثَّوبَ المُلبَّدَ يَحتمِلُ أنْ يكونَ للتَّواضُعِ وتَرْكِ التَّنعُّمِ، ويَحتمِلُ أنْ يكونَ عن غَيرِ قصْدٍ منه؛ لأنَّه كان يَلبَسُ ما وَجَدَ.

وأخرج الإمام مالك عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قال:" رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ وَقَدْ رَقَعَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ بِرِقَاعٍ ثَلَاثٍ لَبَّدَ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٠٨٢)

١- كِساءً مُلبَّدًا، وهو الثَّوبُ المُرقَّعُ، أو الكِساءُ الغليظُ الَّذي يُرَكَّبُ بَعضُه على بَعضٍ، وقيل: هو الذي أصبَحَ وَسَطُه سَميكًا، والظَّاهرُ أنَّه لا يُطلَقُ إلَّا على ما كان مِن الصُّوفِ.

٢- فضل لبس الثياب البيضاء:

الثِّيابُ البِيضُ مِن أفضلِ الثيابِ، ففِيها تَظهرُ نظافةُ الإنسانِ.

أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" البِسوا من ثيابِكُمُ البياضَ، فإنَّها مِن خيرِ ثيابِكُم، وَكَفِّنوا فيها موتاكم...". (صحيح الجامع:١٢٣٦) (صحيح أبي داود: ٣٨٧٨)

وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث سَمُرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" البَسوا البَيَاضَ، فإنَّها أطْهرُ وأطيبُ، وَكَفِّنوا فيها موتاكم ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٠٢٧)

وفي هذا الحديثِ يُوصي النبيُّ ﷺ بِلُبسِ الثيابِ ذاتِ اللَّونِ الأبيضِ في قولِه:" فإنَّها مِن خَيرِ ثِيابِكمْ"، أي مِن أفضلِها وأبرقِها وأنظفِها؛ فإنَّها سُرعانَ ما يُعرفُ اتِّساخُها؛ فيُبادر المسلمُ إلى تَنظيفِها، ويأمرُ ﷺ بِتَكفينِ مَوتى المسلِمينَ فيها.

الملائكة والثياب البيضاء:

١- أخرج البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال:" رَأَيْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يَومَ أُحُدٍ ومعهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عنْه -عليهما ثِيَابٌ بيضٌ- كَأَشَدِّ القِتَالِ، ما رَأَيْتُهُما قَبْلُ ولَا بَعْدُ ".

- وعند مسلم بلفظ:" رَأَيْتُ عن يَمِينِ رَسولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ شِمَالِهِ يَومَ أُحُدٍ رَجُلَيْنِ عليهما ثِيَابُ بَيَاضٍ، ما رَأَيْتُهُما قَبْلُ وَلَا بَعْدُ، يَعْنِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عليهما السَّلَامُ.

٢- وأخرج الإمام مسلم من حديث عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ ﷺ قالَ: بيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رَسولِ اللهِ ﷺ ذاتَ يَومٍ، إذْ طَلَعَ علَيْنا رَجُلٌ شَدِيدُ بَياضِ الثِّيابِ، شَدِيدُ سَوادِ الشَّعَرِ، لا يُرَى عليه أثَرُ السَّفَرِ، ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أحَدٌ، حتَّى جَلَسَ إلى النبيِّ ﷺ، فأسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ، ووَضَعَ كَفَّيْهِ علَى فَخِذَيْهِ. وَقالَ: يا مُحَمَّدُ أخْبِرْنِي عَنِ الإسْلامِ...". الحديث.

٣- وأخرج الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال في حديث له:" فبينا أَنا قاعدٌ ورسولُ اللَّهِ ﷺ متوسِّدٌ فخذي إذا أَنا برجالٍ علَيهِم ثيابٌ بيضٌ اللَّهُ أعلمُ ما بِهِم منَ الجَمالِ فانتَهَوا إليَّ، فجلسَ طائفةٌ منهم عندَ رأسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وطائفةٌ منهم عندَ رجليهِ ثمَّ قالوا بينَهُم: ما رَأينا عبدًا قطُّ أوتيَ مثلَ ما أوتيَ هذا النَّبيُّ إنَّ عينيهِ تَنامانِ وقلبُهُ يَقظانُ، اضربوا لَهُ مثلًا...". الحديث. (صحيح الترمذي: ٢٨٦١)

الزبير ﷺ يهدي رَسولَ اللَّهِ ﷺ وأَبا بَكْرٍ ثِيابَ بَياضٍ.

ففي صحيح البخاري" أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ في رَكْبٍ مِنَ المُسْلِمِينَ كانُوا تِجارًا قافِلِينَ مِنَ الشَّأْمِ، فَكَسا الزُّبَيْرُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ وأَبا بَكْرٍ ثِيابَ بَياضٍ، وسَمِعَ المُسْلِمُونَ بالمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ مِن مَكَّةَ، فَكانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَداةٍ إلى الحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ...". الحديث.

٣- فضل القميص:

أخرج أبو داود والترمذي من حديث أمِّ سلمةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْها- قالت:" كان أحبَّ الثيابِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ القميصُ[١] ". (صحيح أبي داود: ٤٠٢٥)

- وفي رواية:" لم يكن ثوبٌ[٢] أحبَّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ من قميصٍ ". (صحيح أبي داود: ٤٠٢٦)

فالقَميصَ كان مِن أفضَلِ الثِّيابِ الَّتي يُحِبُّها رسولُ اللهِ ﷺ؛ وذلك لسُهولةِ لُبسِه وخِفَّتِه على الجِسْمِ، وإحكامِه لِسَترِ العَورةِ.

٤- فضل الدعاء عند لبس ثيابٍ جديدة:

أخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد من حديث معاذ بن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "... ومَنْ لَبسَ ثوبًا فقالَ: الحمدُ للهِ الَّذي كَسَانِي هذا ورزقنِيه مِن غيرِ حولٍ منِّي ولا قوَّةٍ؛ غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنبِهِ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٠٤٢)

- وفي رواية:" ومن لبِس ثوبًا فقال: الحمدُ للهِ الذي كساني هذا [الثوبَ] ورزقنِيه من غيرِ حولٍ مني ولا قوةٍ غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه وما تأخَّرَ". (صحيح أبي داود: ٤٠٢٣)

٥- فضل من جاد بالثياب لمن يحتاج إليها:

الجود بالملابس لمن يحتاج إليها هي من أفضل الأعمال عند الله تعالى.

فقد أخرج الطبراني في الأوسط عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سُئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال:" إدخالك السرور على مؤمن أشبعت جوعته، أو سترت عورته، أو قضيت له حاجة ". (صحيح الترغيب والترهيب:٢٠٩٠)

١- القَميصُ: اسمٌ لِمَا يُلبَسُ مِن المَخِيطِ الَّذي له أكمامٌ وجيوبٌ، يُلبَسُ ويُنتزَعُ مِن الرَّأسِ.

٢- لَم يَكُن ثوبٌ: أي: ما يَلبَسُه الإنسانُ، ويَستُرُ به نفسَه أمامَ النَّاسِ.

ثالثًا: فضل الحجاب

١ - الحجاب طاعة لله عز وجل وطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم:

فقد أوجب الله طاعته وطاعة رسوله ﷺ، **فقال تعالى**: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب:٣٦) .

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة النساء: ٦٥)

وقد أمر الله سبحانه النساء بالحجاب؛ فقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور:٣١)

أي قل للمؤمنات يكففن من أبصارهن عن النظر إلى ما لا يحلّ لهن النظر إليه من العورات، ويحفظن فروجهن بالبعد عن الفاحشة وبالستر، ولا يُظْهِرن زينتهن للأجانب إلا ما ظهر منها مما لا يمكن إخفاؤه كالثياب، وليضربن بأغطيتهنّ على فتحات أعلى ثيابهن ليسترن شعورهن ووجوههن وأعناقهن. (المختصر في التفسير)

وقال سبحانه: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ (الأحزاب:٣٣)

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ (الأحزاب:٥٣)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ (الأحزاب:٥٩) .

وقال الرسول ﷺ:" **المرأة عورة** ". يعني يجب سترها.

فلتعلم كل من خلعت حجابها أنها عصت ربها، ولم تطع رسولها. وهنيئًا لكل من استجابت وأطاعت فقد بشرها ربها بجنات تجري من تحتها الأنهار، **قال تعالى**: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (النساء: ١٣)

٢- الحجاب دليل على تقوى الله:

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف:٢٦)

واللباس: ما يستر به العورات، والريش والرياش: ما يتجمل به، فالأوّل من الضروريات، والثاني من الزيادات التكميليات.

فبعد أن مَنَّ الله تعالى على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش، دلهم على أفضل لباس وهو يواري عورات الظاهر والباطن ويتجمل به، ألا وهو لباس التقوى.

قال القرطبي-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ بين أن التقوى خير لباس كما قيل:

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى تقلب عريـــانًا وإن كان كاسيًا

وخـير لبـاس المرء طاعـة ربـه ولا خير فـمن كان لله عاصيًا[١]

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" بيْنَا أنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وعليهم قُمُصٌ، منها ما يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، ومنها ما دُونَ ذلكَ، وعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ وعليه قَمِيصٌ يَجُرُّهُ ". قالوا: فَما أوَّلْتَ ذلكَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ:" الدِّينَ[٢] ".

- والعرب تكني الفضل والعفاف بالثياب، كما قال امرؤ القيس: ثِيابُ بَني عَوفٍ طَهارى نَقِيّةٌ...

- **زار عمر بن عبد العزيز-رحمه الله- قبور آبائه، ثم رجع وهو يبكي فقال:**" ناداني التراب فقال: ألا تسألني عما صنعت بأحبابك؟ فقلت: ما فعلت؟ قال: فصلت الكفين عن الساعدين، والقدمين من الساقين، وفعلت وفعلت...، فلما وليت ناداني: ألا أدلك على كفنٍ لا يبلى؟ قلت: بلي. قال: التقوى ".

١- البيتان منسوبان لأبي العتاهية.

٢- المرادُ بالدِّينِ: العَملُ بمُقْتضاهُ؛ كالحِرصِ على امتِثالِ الأوامرِ، واجتنابِ المَناهي، وقيل: تفسيرُ القَميصِ في المنامِ بالدِّينِ؛ لأنَّ الدِّينَ والإسلامَ والتَّقوى كلُّ هذه تُوصَفُ بأنَّها لباسٌ؛ قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف: ٢٦)؛ وأنَّ القميصَ يستُرُ عورةَ الإنسانِ، ويَحجُبُه مِن وقوعِ النَّظرِ عليها، فكذلك الدِّينُ يستُرُه مِن النَّارِ ومِن الفَضائحِ الدُّنيويَّةِ، ويحجُبُه عن كلِّ مَكروهٍ، ولأنَّ الدِّينَ يَشمَلُ الإنسانَ ويَحفظُه ويَقِيه المُخالفاتِ كوِقايةِ الثَّوبِ وشُمولِه؛ فمَنِ استكثَرَ مِن الطاعاتِ زاد سترُه، ومَن تقلَّل نقَصَ عملُه، وقَلَّ سترُه.

٣- الحجاب عنوان للمرأة الحرة:

فقد أخرج البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بيْنَ خَيْبَرَ والمَدِينَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ يُبْنَى عليه بصَفِيَّةَ، فَدَعَوْتُ المُسْلِمِينَ إلى وَلِيمَتِهِ، وما كانَ فِيهَا مِن خُبْزٍ ولَا لَحْمٍ، وما كانَ فِيهَا إلَّا أنْ أمَرَ بلَالًا بالأنْطَاعِ فَبُسِطَتْ، فألْقَى عَلَيْهَا التَّمْرَ والأقِطَ والسَّمْنَ، فَقالَ المُسْلِمُونَ: إحْدَى أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ أوْ ما مَلَكَتْ يَمِينُهُ؟ قالوا: إنْ حَجَبَهَا فَهي إحْدَى أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ، وإنْ لَمْ يَحْجُبْهَا فَهي ممَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، فَلَمَّا ارْتَحَلَ وطَّأَ لَهَا خَلْفَهُ ومَدَّ الحِجَابَ ".

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب:٥٩).

وقوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ لتسترهن بأنهن عفائف مصونات فلا يتعرض لهن الفساق بالأذى، وفي قوله سبحانه: ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ إشارة إلى أن معرفة محاسن المرأة إيذاء لها. والمرأة الحرة العفيفة المتحجبة مصونة من هذا الأذى.

يقول ابن كثير-رحمه الله- في تفسير الآية السابقة: يقول الله تعالى آمرًا رسوله ﷺ أن يأمر النساء المؤمنات - خاصة أزواجه وبناته لشرفهن - بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء. والجلباب هو: الرداء فوق الخمار. وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا أبو عبد الله الظهراني فيما كتب إلي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن ابن خثيم، عن صفية بنت شيبة، عن أم سلمة قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾، خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنها، قال السدي-رحمه الله- في تفسير الآية السابقة:" قال كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة، يتعرضون للنساء، وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة، فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن، فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهن، فإذا رأوا امرأة عليها جلباب قالوا: هذه حرة، كفوا عنها. وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب، قالوا: هذه أمة. فآذوها. وقال مجاهد-رحمه الله-:" يتجلببن فيعلم أنهن حرائر، فلا يتعرض لهن فاسق بأذى ولا ريبة ". اهـ باختصار

٤- الحجاب حياء:

فان الحياء بالنسبة للفتاة كالسياج الذي يكون سببًا في عصمة المرأة وصيانتها، وفعل ما يجملها ويزينها واجتناب ما يدنسها ويشينها، والحياء يكسب المرأة بهاء وجلالًا وجمالًا، فعندما تتبرج المرأة تفقد حياءها ويقل إيمانها. لشرف الحياء وقدره وعظيم أثره تصدر طليعة الخصائص الأخلاقية لهذه الملة الحنيفة.

فقد أخرج ابن ماجه من حديث عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ لِكُلِّ دينٍ خُلُقًا[١]، وإنَّ خُلُقَ الإسلامِ الحياءُ[٢]". (صحيح ابن ماجه: ٣٣٩٠)

يعني: إن الغالب على أهل كل ملة خلق معين، والغالب علينا أهل الإسلام الحياء، ولَمَّا كان الإسلامُ أشرَفَ الرسالات أعْطاه اللهُ أسمى الأخلاقِ وأشرَفَها ألا وهو خلق الحَياءُ.

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" الحياءُ منَ الإيمانِ[٣]، والإيمانُ في الجنَّةِ[٤]...". (صحيح الترمذي: ٢٠٠٩)

- **فالحياء ليس فقط من الإيمان ولكنه قرين الإيمان:**

فقد أخرج الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" الحياءُ والإيمانُ قُرِنا جميعًا، فإذا رُفِعَ أحدُهما رُفِعَ الآخَر". (صحيح الجامع: ١٦٠٣)

فتجد أن المرأة الحيية هي التي تستر نفسها، وكلما قل حياؤها كلما تكشِف أكثر من جسدها، وكلما زاد الحياء زاد الستر. **ولله در القائل:**

لعمرك ما في العيش خير ولا في الدنيا إذا ذهب الحياء

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء

١- إنَّ لكلِّ دِينٍ خُلُقًا: أي: طَبْعًا وسَجيَّةً شُرِعَتْ فيه، وخُصَّ أهلُ ذلك الدِّين بها وكانت مِن جُملةِ أعمالِهم الَّتي يُثابون عليها، ويَحتمِلُ أنْ يُريدَ سَجيَّةً تَشمَلُ أهلَ ذلك الدِّينِ أو أكثَرَهم أو تَشمَلُ أهلَ الصَّلاحِ مِنهم، وتَزيدُ بزِيادةِ الصَّلاحِ، وتَقِلُّ بقِلَّتِه.

٢- وإنَّ خُلُقَ الإسلامِ الحياءُ: أي: الغالِبُ على أهلِه ذلك، كما أنَّ الغالِبَ على أهلِ كلِّ دينٍ سجيَّةٌ مِن السَّجايا، والحياءُ يَختَصُّ بأهلِ الإسلامِ؛ لأنَّه مُتمِّمٌ لِمكارِمِ الأخلاقِ، وبالحياءِ يَتِمُّ قِوامُ الدِّينِ وجَمالُه، ولَمَّا كان الإسلامُ أشرَفَ الأديانِ أعْطاه اللهُ أسنَى الأخلاقِ وأشرَفَها وهو الحَياءُ.

٣- مِن الإيمانِ: أي: مِن عَلاماتِ الإيمانِ وآثارِه، والحياءُ أيضًا شُعبةٌ مِن شُعَبِ الإيمانِ، والحياءُ: خُلُقٌ يَمنَعُ صاحبَه مِن فِعلِ القَبيحِ، والحياءُ غَريزةٌ إنسانيَّةٌ، وجعَلها النَّبيُّ ﷺ مِن الإيمانِ؛ لأنَّ المستَحيِيَ يَنقطِعُ بحَيائِه عن المعاصِي، فصار كالإيمانِ الَّذي يَقطَعُ بينَه وبينَها، والمرادُ هنا أن يَقومَ العبدُ بالواجباتِ والفَرائِضِ، ولا يَفعَلَ المحرَّماتِ.

٤- والإيمانُ في الجنَّةِ: أي: أهلُ الإيمانِ الَّذين اتَّصَفوا به، فحَصَّلوا شُعبَه، وقيل: معناه أنَّ الإيمانَ سَببٌ مُوصِّلٌ إلى الجنَّةِ.

وصدق النبي ﷺ حيث قال كما عند البخاري:" إذا لَمْ تَسْتَحْيِ فافْعَلْ ما شِئْتَ ". (رواه البخاري عن أبي مسعود عقبة بن عمروﷺ)

وقالوا قديمًا:" الحياء نظام الحياة فإذا انحل النظام ذهب ما فيه ".

وصدق وهب بن منبه-رحمه الله- حيث قال:" الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء ".

أختاه !! يا من خلعتي حجابك ولم تستحي من ربك، ألستِ حفيدة خديجة وعائشة وفاطمة؟!!

ألستِ من نساء المؤمنين؟!! إذًا فعليك أن تنصاعي لقول رب العالمين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب ٥٩)

أختاه !! أتعرفين مَن الذي أمرك بالحجاب؟؟ إنه الله، أتعرفين من هو الله؟ قال تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الزمر:٦٧)

الذي أمرك بالعفة﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (غافر:١٩)

فالمرأة إذا خلعت حجابها خلعت معه حياءها، ومن خلعت حياءها خلعت إيمانها.

أختاه !! اسمعي هذا الحديث وعيه جيدًا، وانظري أين أنت منه؟!

فقد أخرج البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له من حديث عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن جرَّ ثوبَهُ خيلاءَ لم ينظُرِ اللَّهُ إليهِ يومَ القيامةِ[1]، فقالَت أمُّ سَلمةَ: فَكَيفَ يصنَعُ النِّساءُ بذيولِهِنَّ؟ قالَ: يُرخينَ شبرًا، فقالت: إذًا تنكشفَ أقدامُهُنَّ، قالَ: فيُرخينَهُ ذراعًا، لا يزِدنَ علَيهِ ". (صحيح الترمذي: ١٧٣١)

يا سبحان الله!! الرسول يقول لأم سلمة يرخينه شبرًا، ولكنها تقول إن النساء لا تطيق هذا؛ لأن أقدامهن ستنكشف عند المشي، فلم ترض أن يرخى الثوب شبرًا يجرجر في الأرض، ولكن فتيات هذا الزمان رضين بهذا الشبر، ولكنه ليس شبرًا يجرجر في الأرض، لكنه شبرًا فوق الركبتين.

يقول أحدهم:

لحد الركبتين تشمرين بربك أي نهر تعبرين
كأن الثوب ظل في صباح يزيد تقلصًا حينًا فحينا
تظنين الرجال بلا شعور أم لأنك ربما لا تشعرين

١- لم ينظُرِ اللهُ إليهِ يومَ القِيامةِ: المقصودُ بالنظرِ هنا نظرٌ خاصٌّ، وهو نظرُ الرَّحمةِ.

وانظري إلى هذه المرأة السوداء، امرأة من أهل الجنة ما حالها؟! وما قصتها: -

أخرج البخاري ومسلم عن عطاء بن أبي رباح قال: قالَ لي ابنُ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما-: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِن أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلتُ: بَلَى، قالَ: هذِه المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ[1]، أَتَتِ النبيَّ ﷺ، قالَتْ: إنِّي أُصْرَعُ وإنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قالَ: إنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وإنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ قالَتْ: أَصْبِرُ، قالَتْ: فإنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لا أَتَكَشَّفَ فَدَعَا لَهَا ".

سبحان الله... ! هذه المرأة بشَّرها النبي ﷺ بالجنة لكن لم تُنْسها هذه البشارة أمرًا آخر وهو في غاية الخطورة، وهي أنها تخاف أن يظهر شيء من جسدها وهي تُصرع، وهذا عذر، فهي تصبر على المرض وآلامه، ولكنها لا تصبر على التكشُّف، فما بال اللاتي يكشفن عن أجسادهن بلا مرض ولا صرع ولا علة.

واعلمي أختاه... أن الستر قرين الحياء.

فنجد أن المرأة الحيية هي التي تستر نفسها، وكلما قلَّ حياؤها، كلما تكشف أكثر من جسدها، وكلما زاد الحياء زاد الستر، والله ﷻ حيي ستِّير يحب الحياء ويحب الستر، كل أنواع الستر:

ستر العورات، لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم، لا يحب إشاعة الفاحشة في المؤمنين والأخبار القبيحة، لا يحب كشف عيوب الناس:"... **ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ...** ". **(رواه البخاري عن ابن عمر-رضي الله عنهما-)**

ولا يحب المجاهرة بالمعصية؛ **كما قال النبي ﷺ:" كُلُّ أُمَّتي مُعافًى إلَّا المُجاهِرِينَ[2]، وإنَّ مِنَ المُجاهَرَةِ أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وقدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عليه، فَيَقُولَ: يا فُلانُ، عَمِلْتُ البارِحَةَ كَذا وكَذا، وقدْ باتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، ويُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عنْه ". (رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ)**

١- امرأةً طَوِيلَةً سَوداءَ، قيل اسمُها: سعيرةُ الأَسديَّةُ، وقيل شقيرة، وكانتْ مُصابةً بِداءِ الصَّرَعِ، وهو مَرَضٌ في الجِهازِ العَصَبيِّ تَصحَبُه غَيبوبةٌ وتشنج في العَضَلاتِ.

٢- كُلُّ أُمَّتي مُعافًى: أي: كُلُّ واحدٍ مِن هذه الأمَّةِ إذا ارتكَبَ مَعصيةً، يُرجى له عفْوُ اللهِ ومَغفرتُه، والنَّجاةُ مِن النَّارِ" إلَّا المجاهِرين" بالمَعاصي، فلا يُعافَوْنَ، والمجاهِرُ: الفاسقُ المُعلِن بفسْقِه، الَّذي يَأتي بالفاحشةِ ثمَّ يُشيعُها بيْن النَّاسِ تَفاخُرًا وتَهوُّرًا ووَقاحةً. ثمَّ أخبَرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ مِن المُجاهرةِ -أي: الوقاحةِ والاستهتارِ بالدِّينِ والاستخفافِ بحُدودِ الله- أنْ يَعمَلَ الرَّجلُ باللَّيلِ مَعصيةً، ثمَّ يُصبِحَ وقدْ سترَه اللهُ، فيُحدِّثَ إخوانَ السَّوءِ مِن أصدقائِه بأنَّه فعَلَ المعصيةَ الفلانيَّةَ أمسِ، وقدْ بات يَستُرُه ربُّه ويُصبِحُ يَكشِفُ سِترَ اللهِ عليه! وهذا المجاهِرُ لا يُريدُ السِّترَ، وإنَّما يُريدُ الفضيحةَ، حيث يَراها في نظَرِه مَفخرةً ومُباهاةً، والعياذُ بالله!

فقد يعمل الإنسان المعصية بالليل، ثم يبيت وقد ستره الله، ثم يصبح ويقول للناس: إني قد فعلت كذا أو فعلت كذا، فهذا يُعاقَب بأن الله لا يغفر له، أما مَن ستر على نفسه فالله يقول له يوم القيامة: سترتها عليك في الدنيا وأنا أسترها عليك اليوم (وهذا لمن استحي من الله عند فعل المعصية ثم ندم على فعلها وتاب) فلما ضاع الحياء عند أكثر الفتيات ظهر التبرج والسفور والعري.

أختاه !! اعلمي أن تبرجك دليلٌ على نزع الحياء منك، وأن نزع الحياء منك عقوبة من الله ﷻ.

قال مالك بن دينار-رحمه الله-:" ما عاقب الله تعالى قلبًا بأشد من أن يسلب منه الحياء ".

وهذا التبرج والسفور والعري دليل على نزع الحياء من القلب، وهذه عقوبة من الله تعالى.

نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه عن معاوية بن حيدة القشيريﷺ **قال: قلت: يا رسولَ اللَّهِ! عوراتُنا ما نأتي منها وما نذَرُ؟ قالَ احفَظْ عورتَكَ إلَّا من زوجتِكَ، أو ما ملكت يمينُكَ، قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ! أرأيتَ إن كانَ القومُ بعضَهم في بعضٍ؟ قالَ:" فإنِ استطعتَ أن لا تُريَها أحدًا فلا تُرينَّها"، قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ! فإن كانَ أحدُنا خالِيًا؟، قالَ:" فاللَّهُ أحقُّ أن يُستحيا منهُ منَ النَّاسِ ".**

- وفي رواية:" الله أحق أن يُستَحْيا منه". (صحيح ابن ماجه: ١٥٧٢)

يا الله... النبي ﷺ يأمرنا بستر العورة في الخلوة حياءً من الله[١].

وهناك من النساء من تكشف عورتها، لا أقول عندما تكون بمفردها، ولكن أمام أعين الناس...

فأين الحياء من الله؟!!

جاء في كتاب " مكارم الأخلاق" لابن أبي الدنيا: ص ٢٠: أن الصدِّيق ﷺ **خطب الناس فقال:" أيها الناس استحيوا من الله، فوالله ما خرجت لحاجة منذ بايعت رسول الله** ﷺ **أريد الغائط إلا وأنا مُقنع رأسي حياءً من الله ".**

ويقول الحسن البصري-رحمه الله-عن عثمان وحيائه:" إنه ليكون في البيت والباب عليه مُغلق، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه ".

- **وانظري رعاك الله إلى حياء عائشة -رضي الله عنها-**: وهو حياء يعجز القلم عن كتابته، ويعجز اللسان عن وصفه، **فقد أخرج الإمام أحمد والحاكم عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت:" كنت أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول** ﷺ **وَأَبِي، فأضع ثوبي، وأقول: إنما هو زوجي وَأَبِي. فلما دفن عمر معهم فوالله ما دخلته إلا وأنا مَشْدُودةٌ عليَّ ثيابي؛ حَيَاءً من عمر".**

١- وهذا على الندب والكمال، وليس على ظاهره المفيد للوجوب.

يا الله ! تستحي عائشة - رضي الله عنها- من عمر ﷺ وهو تحت التراب. وهذا الحديث لا يحتاج إلى تعليق، فهذا حياء يعجز القلم أن يكتب عنه شيئًا، ويعجز اللسان عن وصفه، لكن هي رسالة إلى المتبرجات اللاتي يكشفن عوراتهن أمام الرجال الأجانب، لعل هذا الكلام يؤثر في هذا القلب الخامد فيتحرك، فتستحي من الله فتستر نفسها، وتلبس حجابها، وتحافظ وتحمى نفسها من أعين الذئاب التي تنهش في جسدها، وهذا شأن كل ما هو نفيس وغالٍ، فإنه يُستر عن أعين الناس.

- **وانظري رعاك الله إلى فاطمة-رضي الله عنها- وحياؤها حتى بعد الموت:**

تقول فاطمة لأسماء بنت عميس - واسمعي يا أختاه هذا الحوار وعِيه وتنبهي له وتدبري معانيه- **قالت لها**: **يا أسماء إني أستحي أن يُخرَج بي غدًا على الرجال**- وهي تقصد أنها عندما تُحْمَل على الأعناق فإنه سيرى الرجال جسدها - يا له من حياء سامٍ، حتى بعد الموت تخشى نظر الرجال إليها، **فقالت أسماء بنت عميس لفاطمة: ألا نصنع لك شيئًا رأيناه بالحبشة فصنعت لها النعش المغطى من جوانبه، توضع فيه المرأة فلا يراها من حولها ولا يراها الناس، فقالت فاطمة: ما أحلى هذا وما أجمله، سترك الله كما سترتيني، سترك الله كما سترتيني.**

- **وفي رواية**:" **قالت فاطمة لأسماء بنت عميس: إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها، وإني لأستحي من جلالة جسمي إذا أخرجت على الرجال غدا، فقالت أسماء: رأيت بالحبشة نعشا يصنع مثل هودج العروس، قالت فاطمة: ما أحسن هذا.**

قال ابن عبد البر -رحمه الله- في الاستيعاب:" فاطمة أول من غُطي نعشها في الإسلام ".

ومن هنا فإن الحجاب يتناسب مع الحياء الذي جُبِلت عليه المرأة.

وقـفـة.....

أُختـــاه... علمتي فيما سبق أن التعرِّي دليل على عدم الحياء، **أزيدك علمًا وأقول لك: إن التعري سُنَّة إبليسيَّة**، فإن قصة آدم وحواء مع إبليس تكشف لنا مدى حرص عدو الله إبليس على كشف السوءات، وهتك الأستار أو إشاعة الفاحشة، وأن التهتك والتبرج هدف أساسي له.

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف:٢٧)

فإبليس إذن هو مؤسس دعوة التبرج والتكشف، وهو إمام كل من أطاعه في معصية الرحمن، خاصة هؤلاء المتبرجات اللائي يؤذين المسلمين ويفتن شبابهم، فالشيطان يؤز النساء أزًّا إلى التعري، والتبرج، والسفور، وهُنَّ يستجبْن له استجابة عمياء، معرضين عن شرع رب الأرض والسماء.

وأزيدك علمًا أختاه وأقول لكِ: إن التبرج علامة على فساد الفطرة.

لأن فطرة الإنسان تميل دومًا وأبدًا إلى الستر، كما قال ربنا ﷻ عن آدم وزوجه: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ (الأعراف:٢٢)

فالحجاب مؤشر على سلامة الفطرة وقوة الإيمان، التي كلما زادت زاد حاجة المرأة إلى ستر بدنها والعكس بالعكس، فالتبرج والتعرّي والتكشف هو فطرة حيوانية تتنافى مع أصحاب الفطر السليمة.

٥- الحجاب ستر:

فقد أخرج النسائي من حديث يعلى بن أمية ﷺ قال رسول الله ﷺ:"... إن اللهَ عزَّ وجلَّ حليمٌ حييٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الحياءَ والسِتْرَ...". (صحيح النسائي: ٤٠٤)

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي المَلِيحِ الهُذَلِيُّ أنَّ نساءً من حمصٍ[1] أو الشَّامِ دخَلنَ على عائشةَ - رضي اللَّه عنها- فقالت: أنتنَّ اللَّاتي تدخلنَ نساءكنَّ الحمَّاماتِ سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ ما من امرأةٍ تضعُ ثيابَها في غيرِ بيتِ زوجِها إلَّا هتَكَتِ السِّترَ بينَها وبينَ ربِّها ".

وفي الحَديثِ: التَّحذيرُ مِن خَلْعِ المرأةِ ثِيابَها خارجَ بيتِ زَوجِها. ومن حافظت على حجابها؛ فقد فازت بستر الله عليها في الدنيا والآخرة، ومن فازت بستر الله عليها، فقد فازت برضا الله والجنة. ومن خلعت حجابها، خلع الله ستره عنها وفضحها في الدنيا والآخرة، والجزاء من جنس العمل.

٦- الحجاب عفة:

فقد جعل الله تعالى التزام الحجاب عنوان العفة، كما مر بنا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ﴾ (سورة الأحزاب:٥٩) ، لتسترهن بأنهن عفائف مصونات ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ فلا يتعرض لهن الفُساق بالأذى. ورخَّصَ الله تبارك وتعالى للنساء العجائز اللائي لم يبق فيهن موضع فتنة في وضع الجلابيب، وكشف الوجه والكفين، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَالْقَوَاعِدُ[2] مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾ (سورة النـــور:٦٠) ، أي إثم ﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ ثم عَقَّبه ببيان المستحب والأكمل، فقال عز وجل: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ باستبقاء الجلابيب ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ، فوصف الحجاب بأنه عفة، وخير في حق العجائز فكيف بالشابات؟

١- حِمْصُ مَدينةٌ بالشامِ، والشَّامُ: تقَعُ في الشَّمالِ مِن الجزيرةِ العربيةِ، وتضُمُّ حاليًّا: سُوريَةَ والأُرْدنَّ، وفِلَسطينَ ولُبنانَ.

٢- القواعد: هن اللاتي تقدّم بهن السن فقعدن عن الحيض والحمل ويئسن من الولد.

وأخرج البيهقي عن عاصم الأحول قال: كنا ندخل على حفصة بنت سيرين وقد جعلت الجلباب هكذا: وتنقبت به، فنقول لها: رَحِمَكِ الله، قال الله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾، قال: فتقول لنا: أي شيء بعد ذلك؟ فنقول: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ فتقول: هو إثبات الحجاب ".

٧- الحجاب طهارة:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ (سورة الأحزاب:٥٣) ، فوصف الحجاب بأنه طهارة لقلوب المؤمنين والمؤمنات، لأن العين إذا لم تَرَ لم يَشْتَهِ القلبُ، أما إذا رأت العين، فقد يشتهي القلب، وقد لا يشتهي، ومن هنا كان القلب عند عدم الرؤية أطهر، وعدم الفتنة حينئذ أظهر، لأن الحجاب يقطع أطماع مرضى القلوب ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ (سورة الأحزاب:٣٢)

وسبب نزول هذه الآية؛ ما رواه البخاري عن عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ ﷺ قال:" وافَقْتُ رَبِّي في ثَلَاثٍ: فَقُلتُ يا رَسولَ اللَّهِ! لَوِ اتَّخَذْنَا مِن مَقَامِ إبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة:١٢٥) وآيَةُ الحِجَابِ، قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ! لو أمَرْتَ نِسَاءَكَ أنْ يَحْتَجِبْنَ، فإنَّه يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ والفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ، واجْتَمَعَ نِسَاءُ النبيِّ ﷺ في الغَيْرَةِ عليه، فَقُلتُ لهنَّ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾، فَنَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ ".

صرخة إنذار لكل أخت متبرجة

أبدأ بسؤال أتوجَّه به إلى كل من خلعتْ حجابها وعصتْ ربها، فأقول لها:

أُختاه... هل تريدين الجنّة؟

وما أظنكِ إلا كذلك، فلتسمعي النصيحة والعتاب من أخٍ يرجو لكِ حسن الثواب، ويخشى عليك من العذاب، ولا تغضبي فالحق أولى أن يُجَاب، فهذه محض نصيحتي لك، قصدتُ بها نفعكِ ودفْع ما يضرُّكِ، والدين النصيحة.﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود:٨٨)

فبصوت الأخ المشفق، وكلام الناصح المنذر أقول لكِ:

أُختـاه...قفي مع نفسكِ لحظة صدق وقولي لها: يا نفس.. كيف أنت مني غدًا؟ وقد رأيتِ ركاب أهل الجنَّة يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم.

كيف بك وقد حيل بينك وبينهم، هل سينفع الندم؟ هل ستغني الحسرات؟ أم هل سينفع طلب الرجوع عند الممات؟

يا نفس.. أما نظرتِ واعتبرتِ بمَن هم تحت الثرى من أهل الدنيا؟ كيف كانوا، وكيف صاروا؟

كيف جمعوا كثيرًا فصار جمعهم بورًا، وبنوا مشيدًا فأصبح بنيانهم قبورًا، وأمَّلوا بعيدًا فصار أملهم غرورًا؟

ويحكِ يا نفس.. أما لكِ إليهم نظرة؟! أما لكِ بهم عبرة؟ أتظنين أنهم دُعوا إلى الآخرة، وأنتِ من المخلدين؟ هيهات.. هيهات ساء ما تتوهمين، ما أنت إلا في هدم عمرك منذ أن سقطت من بطن أمك،

ويحك يا نفس.. تعرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك، وتقبلين على الدنيا وهي مفارقة معرضة عنك، فكم من مستقبل يومًا لا يستكمله، وكم من مؤمل لغدٍ لا يبلغهُ.

ويحك يا نفس.. ما أعظم جهلك! أما تعرفين أن بين يديك جنة أو نارًا، وأنت سائرة إلى إحداهما؟!

فما لك تمرحين وتفرحين وباللهو تنشغلين، وأنت مطلوبة لهذا الأمر الجسيم، فعساك اليوم أو غدًا بالموت تختطفين.

يا نفس... كيف بك إذا جاءتك السكرات، وبلغت الروح منكِ التراق؟ كيف وقد صار إلى الله المساق؟ يا لهف نفسي.... أم كيف بك إذا وقفت مع العباد يوم التلاق؟﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ (غافر:١٦) ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ (النحل:١١١)

ليتني أعرف بأي رجْلٍ سأخطو إليه إذا نوديت على رءوس الأشهاد؟

وبأي بدن سأقف بين يديه يوم التناد؟ وبأي لسان سأجيب عليه؟

ما حيلتي وقد حلّ القضاء، وكيف احتيالي إذا شهدت الأعضاء؟

من سيلهمني حُجتي؟ من سيدافع عني؟

قد تبرَّأ الأصحاب... فلا أصحاب. وتقطعت الأسباب... فلا أنساب.

الدنيا الغرَّارة قد ولَّت عني، والشيطان الرجيم تبرَّأ مني.

كيف لم أقم لله حسابًا؟! ولم أخشَ له عقابًا؟!

من لي إذا حُجِبتُ في ذلك اليوم عن ربي؟ فلم يُزكِّني، ولم ينظر إليَّ، ولم يُكلمني.

من لي إذا نادى المنادي بمَن عصى إلى أين التــجائي؟ إلى أين أهرب؟

فيا طول حزني ثم يا طول حسـرتي إن كنت في قـعر جهنم أُعَــذَّبُ

يا نفس....

قد أزف الــرحيـل وأظلَّــك الخـطب الجليل

فتأهبي يا نفس لا يلعب بك الأمـل الطــويــل

فلتنــزِلنَّ بمنــزل ينسى الخـليل فيــه الخــليـل

وليــركبنَّ عـليك فيـه مـن الـثرى ثقـل ثقيـل

يا نفس.... انظري... واعتبري بمَن سكن القبور بعد القصور، واعلمي أن الفرصة واحدة لا تتكرر، فإذا جاءت السكرة فلا رجعة ولا عودة، فأنتِ في دار المهلة فجاهدي قبـل النقلة.

قبل أن تقولي: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ **(المؤمنون:٩٩،١٠٠)**

أو تقولي: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ **(الزمر:٥٨)**

أو تقولي: ﴿هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ **(الشورى:٤٤)**

أو تقولي: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ **(المنافقون:١٠)**

أو تقولي: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ **(الفجر:٢٤)**

أو تقولي: ﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ **(الزمر:٥٦)**

يا نفس.. هي جنة أو نار، فوز أو خَسار، نعيم أو جحيم، سعادة أو عذاب.

ويبقى هنا سؤال... هل انتهي بي الأمل؟ هل كُتِبَ عليَّ أن أجازى بسوء العمل؟

لا وربي. بل لا يزال في العمر فسحة. وباب التوبة مفتوح.

فدعيني يا نفس.. دعيني أمضي بما تبقَّى من إيماني، لعل الله أن يلحقني بأهل الجنَّة.

دعيني.. أُبادر اليوم بعدما فرَّطت في أمسي، دعيني قبل أن تغيب عن الدنيا شمسي.

دعيني.. دعيني.. فإنه لا ملجأ ولا منْجَى من الله إلا إليه.

لذلك أدعوك أختاه أن تتذكري.

أختاه... تذكري..!!

أن الله لم يخلقكِ عبثًا، ولم يتركِكِ سدى، بل إن الله خلقك لغاية جليلة... ألا وهي عبادته.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)

والله تعالى أوجدنا في هذه الدار للاختبار، فبعد انقضاء الأعمار الكل سيقف بين يديه، ليس بينه وبين الله حجاب، فيسأله عن الصغير والكبير، والنقير والقطمير.

قال تعالى في الحديث القدسي: "يا عِبَادِي، إِنَّما هي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فمَن وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ". (أخرجه مسلم)

أُختاه... تذكري أن الموت قادم.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران:١٨٥)، ولك أن تتخيلي أيتها الأخت الفاضلة أن ملك الموت قد دخل عليك الآن، **وسينادي عليك ويقول:** ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ...﴾ (الفجر:٢٧)

وأنتِ بين تلك الكربات تعانين من ألم النزع والسكرات، وتسألين نفسك: يا ترى بأي نداء سيُنادَى علي؟

هل سيقول: يا أيتها النفس المطمئنة أُخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان؟

أم سينادي ويقول: يا أيتها النفس الخبيثة أُخرجي إلى سخط من الله وغضب؟!

فإذا جاء النداء الأول: فذاك هو الفوز الذي لا فوز بعده، وتلك هي البشرى التي لا تدانيها الدنيا بما عليها، **وأما إذا جاء النداء الثاني:** عياذًا بالله، فتلك هي الحسرة التي لا تدانيها حسرة في هذه الدنيا، **فأي النداءين تُحبين أن تسمعي؟**

الأمر كما قال بعضهم:

الموت باب وكل الناس داخله يا ليت شعري بعد الموت ما الدار؟
الدار جنة خلد إن عملت بما يُرضي الإله وإن خالفت فالنار
هما محلان ما للناس غيرهما فانظر لنفسك أي الدار تختار

أُختاه... اختاري لنفسك قبل ألا تستطيعي، فأمامك الفرصة والسوق مقامة (الدنيا)، ومعك رأس مالك (عمرك) .

كان يزيد الرقاشي يُحدِّث نفسه ويقول:" ويحك يا يزيد من ذا الذي يصلي عنك بعد الموت؟ ومن ذا الذي يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا الذي يترضَّى عنك ربك بعد الموت؟ **ثم يقول:** أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟ من كان الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقره، وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده، والجنَّة والنار مورده كيف يكون حاله؟ ثم يبكي حتى يسقط مغشيًّا عليه.

أُختاه... تذكري لحظة دخولك القبر:

عندما يأتيك ملكان فيسألانك: مَن ربك؟ وما دينك؟ وماذا تقولين في الرجل الذي بعث فيكم؟ فمَن عاشت في طاعة الله غير متبرجة بزينة، فتقول بلسان الواثق بوعد الله: "ربي الله، وديني الإسلام، ومحمد رسول الله"، فيفسح لها في قبرها مد البصر ويفتح لها باب من أبواب الجنَّة، ويأتيها من روحها ونعيمها. أما الأخرى العاصية المتبرجة والتي جعلت إلهَهَا هواها **كما قال تعالى:** ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (الجاثية:٢٣) فيأتيها الملكان فيسألانها: من ربك؟ وما دينك؟ وماذا تقولين في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يجدوا منها إجابة إلا قولها: ها..ها..لا أدري، فتُضرَب بمطرقة من حديد لو ضُرِب بها جبلٌ لصار ترابًا، وترى مكانها في الجنَّة، ثم يقال لها: هذا مكانك إن كنتِ أطعت الله، ثم يُصرف عنها- إنها حسرة تعمل في النفوس كما تعمل الديدان في الأجساد- ثم ترى مكانها في النار التي تنتظرها يوم الحساب، فتقول: رب لا تُقِم الساعة، رب لا تُقِم الساعة، ويُضيَّق عليها قبرها حتى تختلف أضلاعها، ويُفتَح لها باب من النار، فيأتيها من حرِّها وسمومِها، وتتمنى أن لو رجعت إلى الدنيا فتصرخ بأعلى صوتها وتقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ (المؤمنون:٩٩،١٠٠) تتمنى الرجوع لتتوب إلى الله وتلبس حجابها وتعبد ربها، لكن هيهات.. هيهات، فلا هي إلى دنياها عائدة، ولا في حسناتها زائدة، قُضِي الأمر، وانقضى العمر، وليس لها بعد الموت مستعتب، وليس لها بعد الدنيا إلا جنة أو نار

كما أخبر الحبيب المختار ﷺ، فقد أخرج البيهقي بسند فيه مقال أن النبي ﷺ قال:" والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنَّة أو النار".

وصدق القائل حيث قال:

العين تبكي على الدنيا وقد علمت أن السلامة فيها تـرك ما فيهـا
لا دار للمـرء بعد المـوت يسكنهـا إلا التي كانت قبل الموت يبنيها
فإن بنـاهـا بخير طـاب مسكنـه وإن بنـاها بشرٍّ خاب بانيهـا
فلا تـركن إلى الدنيـا وزخرفهـا فإن الموت لا شك يفنينا ويفنيها

أُختاه... تذكري شدائد يوم القيامة:

فكيف بك يا أمة الله إذا رُجَّت الأرض رجًا، وبُسَّت الجبال بسًا، وشخصت الأبصار، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسًا، وتقطَّعت الأسباب، وزفرت النار؛ فشَابَ الصغير، وصاح الكبير.. واندماه، وصرخ المفرط.. واخيبتاه، وأزفت الآزفة، وبلغت القلوب الحناجر، وتوالت المحن على العباد.

ما حالك عندها يا أمة الله؟ أين عدتك أيتها الغافلة؟ كم في كتابكِ من حسنات؟ وكم فيه من السيئات؟ هل تنفع الأزياء والموديلات؟ وهل تنفع الأغاني والمسلسلات؟ فتأملي هذا اليوم وكيف سيقف الناس في أرض المحشر خمسين ألف سنة حفاة عراة غرلًا، تدنو الشمس فوق رءوسهم قدر ميل أو ميلين، **كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن المقداد بن عمرو بن الأسود** ﷺ **قال: قال رسول الله** ﷺ: **" تُدْنَى الشَّمْسُ يَومَ القِيامَةِ مِنَ الخَلْقِ، حتَّى تَكُونَ منهمْ كَمِقْدارِ مِيلٍ[1]، فَيَكونُ النَّاسُ علَى قَدْرِ أعْمالِهِمْ في العَرَقِ؛ فَمِنْهُمْ مَن يَكونُ إلى كَعْبَيْهِ، ومِنْهُمْ مَن يَكونُ إلى رُكْبَتَيْهِ، ومِنْهُمْ مَن يَكونُ إلى حَقْوَيْهِ[2]، ومِنْهُمْ مَن يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلْجامًا. قالَ: وأَشارَ رَسولُ اللهِ** ﷺ **بيَدِهِ إلى فِيهِ ".**

وتقول عائشة -رضي الله عنها- سمعت رسول الله ﷺ **يقول:" يُحْشَرُ النَّاسُ يَومَ القِيامَةِ حُفاةً عُراةً غُرْلًا، قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ! النِّساءُ والرِّجالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ؟ قالَ** ﷺ**:" يا عائِشَةُ! الأمْرُ أشَدُّ مِن أنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ ". (رواه مسلم)**

فهو أعظم يوم تنكشف فيه العورات ومع ذلك يُؤمَن فيه من النظر والالتفات.

فيا من أبيتِ إلا التعري... ستقفين عارية يوم القيامة كيوم ولدتك أمك، ومع ذلك لا يأبه بـك ولا يُلتفت إليك.

١- قالَ سُلَيْمُ بنُ عامِرٍ: فَواللهِ ما أدْرِي ما يَعْنِي بالمِيلِ؛ أمَسافَةَ الأرْضِ، أمِ المِيلَ الذي تُكْتَحَلُ به العَيْنُ؟.

٢- وسطه.

ويا من أطلقتَ عينَك لتنهش في أجساد وعورات النساء، ستقف بينهن يوم القيامة وهن عـاريات، ولكنك لا تستطيع النظر إليهنّ لأنك ساعتها مشغول بنفسك، فالأمر خطير جد خطير.

كما قال الرب الجليل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج:١،٢)

أُختاه... تذكري وقوفكِ بين يدي الله الجليل:

عندما يأتيك النداء أين فلانة بنت فلان؟ فيلقى الله في روعك أنك أنت المقصودة من بين الخلائق، فتقبلي على عرش الواحد الديان، يا له من موقف عصيب، نوَّه بخطورته الرسول الحبيب ﷺ.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عدي بن حاتم ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ:" ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمُه اللهُ يومَ القيامةِ، ليس بينه وبينه تَرجمانٌ، فينظرُ أيْمنَ منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظرُ أشأَمَ منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظرُ بين يدَيه، فلا يرى إلا النَّارَ تِلقاءَ وجهِه، فاتَّقوا النَّارَ، ولو بشِقِّ تمرةٍ، ولو بكلمةٍ طيِّبةٍ".

أُختاه... هلا تذكرتي هذا الموقف، عندما يُنَادَى عليكِ باسمكِ من بين الخلائق للحساب: أين فلانة بنت فلان؟ هلمي للعرض على الله ﷻ فتَثِبي على قدميك ترتعد فرائصُكِ وتضطرب جوارحك، متغير لونكِ، فزعة مرعوبة من الوقوف بين يدي الله الواحد القهار للسؤال والحساب، فبأي لسان تجيبينه حين يسألكِ عن قبيح فعلك، وعظيم جُرْمك؟

وبأي قدم ستقفين غدًا بين يديه؟ وبأي عين تنظرين إليه؟ وبأي قلب تتحملين كلامه العظيم الجليل ومساءلته إياك؟ يوم يقول لك: يا أَمَتِي جسمك لماذا عريتيه؟ ولماذا لم تستريه؟ لماذا لم تتقيني فيه؟ والشباب لماذا فتنتيه؟ أما أجللتيني؟ أما استحييت مني؟ **فما قولك عندها يا أمة الله؟**

ولنعلم جميعًا أننا سنقف هذا الموقف المهيب بين يدي رب العالمين، ويسألنا على الصغير والكبير، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة:١٨) فمَن علم أنه موقوف؛ فليعلم أنه مسئول، ومن علم أنه مسئول؛ فليعد للسؤال جوابًا، وللجواب صوابًا، وهذه اللحظة آتية لا ريب فيها؛ فلتستعدي لها من الآن.

أُختاه... تذكـري الميـزان:

قال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون:١٠٣،١٠٢)

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ (القارعة:٦ -١١)

يقول أنس ﷺ:" يُؤتَى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يُسمِع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، وإن خف ميزانه نادى بصوت يُسمِع الخلائق: شقي فلان شقاوة لا يسعد بها أبدًا، وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد، عليهم ثياب من نار، فيأخذون نصيب النار إلى النار".

اللـهم ثـقِّـل مـوازيـنـنـا

أُختاه... تذكري يوم تشهد عليك الجوارح والأركان:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور:٢٤)

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس:٦٥)

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (فصلت:٢١)

نعم. سينطق كل شيء يوم القيامة بإذن من الله تعالى، حتى هذه الأرض التي تمشي عليها المتبرجة المتعطرة ستُحدِّث أخبارها وتشهد عليها.

فقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة ﷺ أنه قال:" قرأ النبيﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (الزلزلة:٤) قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبدٍ وأَمَةٍ بما عمل على ظهرها، أن تقول: عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها ".

فاتقِ الله أختاه في هذه الجوارح التي ستشهد عليك يوم القيامة، وإذا أردت فعل معصية فابحثي عن أرض لا تشهد عليكِ. وأنَّى لكِ هذا؟!

أُختاه... تذكري تطاير الصحف:

والناس في هذا المشهد صنفان لا ثالث لهما، **صنف** يأخذ صحيفته بيمينه، فيصرخ بأعلى صوته وهو يجري في أرض المحشر، **ويقول**: ﴿...هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (الحاقة:١٩ -٢٢) تنادي عليه الملائكة وعلى أمثاله من أهل الجنَّة، **وتقول**: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (الحاقة:٢٤)

الصنف الآخر – نسأل الله ألاّ نكون منهم – يأخذ صحيفته بشماله، أو من وراء ظهره فيصرخ بأعلى صوته في حسرة شديدة، **ويقول**: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ﴾ (الحاقة:٢٥- ٢٩) فيأمر الله الملائكة، **ويقول لهم**: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ (الحاقة:٣٠،٣١)

يقول القرطبي-رحمه الله-:" فيبتدره مائة ألف ملك، ثم تجمع يده إلى عنقه، **فذلك قوله**: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي: أدخلوه النار العظيمة المتأججة لِيَصْلَى حرها ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (الحاقة:٣٢) أي: ثم أدخلوه في سلسلة طولها سبعون ذراعًا، تدخل من دبره، وتخرج من حلقه، ثم يجمع بين ناصيته وقدمه، ثم يلقى في جهنم هكذا مكبلًا مغلولًا.

نعوذ بالله من الخُذلان ومن حر النيران، ونسأله السكنى في أعلى الجنان.

أُختاه... تذكري مجيء جهنم:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ:" يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَومَئِذٍ لها سَبْعُونَ أَلْفَ زِمامٍ، مع كُلِّ زِمامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَها ".

فيا له من مشهد مهيب تتفطَّر منه القلوب، فإذا جيء بجهنم زفرت زفرة فلا يبقى ملـــك مقرب، ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه، والكل يقول: اللّهُمَّ سلم سلم، والكل يقول: نفسي.. نفسي، حتى أن عيسى ابن مريم عليه السلام يقول من هول ذلك اليوم: "لا أسأله اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدتني". **(تفسير ابن كثير)**

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (الفجر:٢١- ٢٤)

تأملي معي هذه الحسرة الشديدة لكل من فرَّط في طاعة الله ﷻإذا رأى جهنم فإنه يصرخ، **ويقول**: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (الفجر:٢٤) كلمة يقولها كل من فرَّط في الصلاة، وكل من عقَّ والديه، وكل من ظلم العباد، وتقولها كل من تركت حجابها، وخرجت سافرة متبرجة ناسية قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب:٥٩)

أُختـاه... تذكري أنها النار التي أُوقِد عليها ألف عام حتى احمَّرت، وألف عام حتى ابيضَّت، وألف عام حتى اسوَّدت، فهي الآن سوداء مظلمة!! لو أُلقي حجر فيها لظل يهوى سبعين خريفًا، حتى ينتهي إلى قعرها، فاتقوا النار فإن حرَّها شديد، ومقامعها حديد، وقعرها بعيد.

أُختـاه... تذكري أن نعيم الدنيا كله لا يساوي غمسة في جهنم.

فقد أخرج مسلم من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيا مِن أَهْلِ النَّارِ يَومَ القِيامَةِ، فيُصْبَغُ في النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقالُ: يا ابْنَ آدَمَ، هلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا واللَّهِ يا رَبِّ، ويُؤْتَى بأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا في الدُّنْيا مِن أَهْلِ الجَنَّةِ، فيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجَنَّةِ، فيُقالُ له: يا ابْنَ آدَمَ، هلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا واللَّهِ يا رَبِّ، ما مَرَّ بي بُؤْسٌ قَطُّ، ولا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ ".

فواعجبا لمن سمعتْ هذا الكلام، وما زالت مصرة على العصيان، والبعد عن الواحد الدَّيان.

أُختـاه... **اعلمي** أنك ستموتين وحدك، وستحشرين وحدك، ستبعثين وحدك، وستحاسبين وحدك، واعلمي لو أن أهل الأرض جميعًا أطاعوا الله وعصيتِ أنتِ، فلن تنفعك طاعتهم، واعلمي لو أن أهل الأرض جميعًا عصوا الله وأطعتِ أنتِ، فلن تضرك معصيتهم، أُختـاه... ذنبك.. ذنبك إنما هو دمك ولحمك، فإن سلمت من ذنبك سلم لك دمك ولحمك، وإن تكن الأخرى فإنما هي نارٌ لا تُطفأ، وجسم لا يبلى، ونفس لا تموت.

أُختـاه... **تذكري قوله تعالى:** ﴿أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (فصلت:٤٠)

اعتذار.....أُختاه... أعتذر إن كان في كلامي تخويف أو تعنيف، لكن ما أردت بهذا إلا الإصلاح والخير لكِ.

فقد قيل للحسن البصري-رحمه الله-: يا أبا سعيد كيف نصنع؟ نجالس أقوامًا يُخوِّفُوننا حتى تكاد قلوبنا تطير، فقال: والله إنك إن تخالط أقوامًا يُخوِّفُونك ثم تدرك أمنًا خير لك من أن تصاحب أقوامًا يُؤمِّنُونَك ثم تدرك خوفًا ".

أُختـاه... **تأملي** حال أهل النار، وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا، وقد شُدَّت أقدامهم إلى النواصي، واسودَّت وجوههم من ظلمة المعاصي، وهم في النار ينادون من أكنافها، ويصيحون في نواحيها وأطرافها: يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجت منا الجلود: يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود، **فيقول لهم**: إنكم ماكثون فاخسأوا فيها ولا تكلمون، فعندئذٍ يقنطون، وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون، يوم لا ينفعهم الأسف، ولا يغني عنهم الندم، بل يُكبُّون على وجوههم مغلولين، طعامهم نار، وشرابهم نار، ولباسهم نار، ومهادهم نار. ﴿لَهُم مِّن

﴿جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف:٤١) يلقي عليهم الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام، فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع، طعام ذي غصة، فيقولون أين الشراب؟ نريد الشراب، فيغاثون بشراب من حميم، يرفع بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، فإذا دخل الشراب بطونهم قطَّع ما في بطونهم.

فيقولون: ادعوا خزنة جهنم، فيدعون خزنة جهنم، ويقولون لهم:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (غافر:٤٩،٥٠)، **فيقولون: ادعوا مالكًا، فيدعون فيقولون:** ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ **فيجيبهم:** ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ (الزخرف:٧٧)

قال الأعمش: أُنْبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام، فيقولون: ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم، **فيقولون:** ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ **فيجيبهم:** ﴿اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون: ١٠٦- ١٠٨)

فإلى مَن بعد ذلك سيذهبون وقد هانوا على رب العالمين؟، فيأخذون في الزفير والحسرة والعويل.

قال داود: إلهي لا صبر لي على حر شمسك، فكيف صبري على حر نارك؟

وقال أحمد بن حرب:" إن أحدنا يؤثر الظل على الشمس، ثم لا يؤثر الجنَّة على النار".

أُختاه.. تأملي حال الذين ضلوا، وهم في النار يقولون للذين أضلوهم: ﴿لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (سبأ:٣١)

يريدون أن يحمِّلوهم تبعة الإغواء الذي صار بهم إلى هذا البلاء. لكن فوجِئوا بهذا الرد المفجع من قبل هؤلاء المضلين، فيقولون لهم: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ (سبأ:٣٢)

نعم. زيَّنا لكم الحرام لكننا لم نقهركم عليه، نعم. عرضنا عليكم الملابس الخليعة الماجنة ولكن لم نحملْكم على لبسها، بل أنتم الذين اشتريتموها ولبستموها، ويكثر الجدال والنِقاش بين التابعين والمتبوعين، لكن الجميع يدرك أن هذا الحوار البائس لا ينفع، فقد قُضِي الأمر، عندها ينتهي الجدال والحوار ويسكت الجميع، **كما أخبر رب العالمين:** ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ (سبأ:٣٣)

هنا يقوم إبليس فيخطب فيهم خطبته الشيطانية القاسمة يصبُّها على أوليائه ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ..﴾ إنها طعنة أليمة نافذة لا يملكون أن يردوها عليه، وقد قُضي الأمر وفات الأوان، **ثم قال:** ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾، ثم يؤنِّبهم على أن أطاعوه ﴿.. فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَا

بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (إبراهيم:٢٢)

نفض يده منهم وهو الذي وعدهم ومنَّاهم ووسوس لهم، وأما الساعة فلا هُم يستطيعون أن يدفعوا عنه العذاب، ولا هو يستطيع أن يدفع عنهم العذاب.

فيا حسرة المقصرين... ويا حسرة العاصين، لذاتٌ تمر، وتبعات تبقى، تريدون نيل الشهوات والحصول في الآخرة على الدرجات، جمع الأضداد غير ممكن يا تراب، فدع الذي يفنى لما هو باقي، واحذر زلل قدمك وخف حلول ندمك، واغتنم شبابك قبل هرمك

جعلنا الله وإياكم من الرابحين السعداء، يوم يخسر المبطلون الأشقياء، ويتحسر المتحسرون التعساء، إن ربي وليُّ النعماء وكاشف الضر والبلاء.

أُختاه... أما آن لك اليوم أن تتبرأي من كل ناعق لك باسم الحرية والتمدن، ومتابعة الأزياء والموضات قبل أن يتبروا منك غدًا، **كما قال تعالى:** ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة:١٦٦، ١٦٧)

أُختاه... رددي معي قوله تعالى: ﴿... إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (الأنعام:١٥، ١٦)

أُختاه... تذكري الصراط وأهواله:

فالناس بعد هذه الأهوال يساقون إلى الصراط، وهو جسر ممدود على متن النار، أحَدُّ من السيف وأدقُّ من الشعر، كما صح بذلك الخبر عن أبي سعيد الخدري ﷺ والحديث في صحيح مسلم.

فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم؛ خف على صراط الآخرة ونجا، ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا، تعثَّر وتردَّى، فتفكري أختاه الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد كلفت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك، واضطراب قلبك، وتزلزل قدمك، وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك عن المشي على بساط الأرض، فضلًا عن حدة الصراط، فكيف بك إذا وضعتِ عليه إحدى رجليك فأحسستِ بحدته وأضررت إلى أن ترفعي القدم الثانية؟ والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون، وآخرون يتخطفون بالخطاطيف والكلاليب، وتسمعي العويل والبكاء، وتنظرين إلى الذين ينتكسون على رءوسهم، وآخرين على وجوههم... فيا له من منظر فظيع!، ومرتقى ما أصعبه؟! تتلفتي يمينًا وشمالًا إلى من حولك من الخلق وتديري فيهم بصرك وهم يتساقطون أمامك في جهنم، والنبي يقول: "اللَّهُمَّ

سلم.. سلم". فتصوري لو زلت القدم.. فهل ينفع الندم؟ كلا ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (الفجر:٢٣،٢٤)

نسأل الله لنا ولكِ ولعامة المسلمين السلامة في الدنيا والآخرة، وأن يُثبِّتَ على الصراط أقدامنا، وأن يجعلنا ممَّن يمرون عليه كالطرف أو كالبرق أو كالرياح.... آمين.

وأخيرًا أُختـاه... تذكري.. أنها جنة نعيمها مقيم، أو نار عذابها أليم.

وتذكري قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (الحشر:٢٠)

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الجنَّة.

أُختـاه... أما آن لكِ أن ترجعي إلى الله تعالى بعدما علمت حقيقة وخطورة الأمر؟!

وانظري إلى قصة هذه المرأة البَغِي التي راودت الربيع بن خُثَيم عن نفسه، فتعرضت له في ساعة خلوة، وأبدت مفاتنها، فنظر إليها ثم صرخ في وجهها، وقال لها: يا أمَة الله. كيف بكِ لو نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين[1]؟ أم كيف بك يوم يسألكِ منكر ونكير؟ أم كيف بك يوم تقفين بين يدي الله الجليل؟ أم كيف بك إن لم تتوبي فتُلقَين في نار الجحيم؟ فلما ذكَّرها بالموت وما بعده من أهوال، وسؤال الملكين، والوقوف بين يدي الله الجليل؛ فرَّت هاربة، ورجعتْ إلى الله تعالى تائبة عابدة، تصوم من النهار ما تصوم، وتقوم من الليل ما تقوم، حتى أنها سميت بعابدة الكوفة.

أُختـاه... آه لو علمت علم اليقين! آه لو اطَّلعتِ على الجنة لحظة، أو نالك من النار لفحة، أو تقلَّبتِ في ظلمات القبر ليلة؛ لتغيرت أحوالك.

فلو كشف الله تعالى الحجاب للناس لحظة؛ ليروا الجنة والنار رأْي العين، لأفنوا أعمارهم في عبادته لا يفترون، وفي مرضاته يتنافسون، لكن شاء الله أن يختبر عباده في إيمانهم بالغيب.

وقد رُوي في الحديث الذي أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي مالك الأشعري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:" إن الله تعالى يقول: ثلاث خلال غَيَّبْتُهُنَّ عن عبادي؛ لو رآهن رجلٌ ما عمل بسوء أبدًا، لو كشفت غطائي فرآني حتى استيقنَ، ويعلم كيف أفعل بخلقي إذا أتيتهم، وقبضت السموات بيدي، ثم قبضت الأرضين، ثم قلت: أنا المَلِك. من ذا الذي له المُلك دوني؟ وأوريهم الجنة، وما أعددت لهم فيها من كل خير فيستيقنوها، وأوريهم النار، وما أعددت لهم فيها من كل شر فيستيقنوها، ولكن عمدًا غيَّبْتُ ذلك عنهم؛ لأعلم كيف يعملون وقد بيَّنتُهُ لهم ". (ضعيف)

١ـ حبل الوتين: الشريان المتصل بالقلب.

لكن للأسف غاب عنا اليقين، فكان ما كان، رضينا من الدين بالكلام.

وُعِد الإنسان منا بالجنَّة فنام، ورُهِّب بالنار لكن هو منها في جراءة وإقحام، كحال بعض النساء اليوم، يعلمن أن التبرج حرام ومآله النار وغضب الجبار، ومع ذلك يتبرجن! فما لنا أيقنَّا بالموت ولا نرى له مستعدًا؟! وأيقنا بالجنة ولا نرى لها عاملًا؟! وأيقنا بالنار ولا نرى لها خائفًا؟!

فيا أيتها الأخت المسلمة...

قد علمتِ أن الموت مصير كل حي سوى الله تعالى، وأنك ستصلين يومًا إلى اليوم الأخير في حياتك، صبح ليس بعده مساءٌ، أو مساءٌ ليس يليه صبحٌ، وتبدأ تلك السلسلة الرهيبة من الأحداث العظام التي تقدَّم ذكْرها، والتي تبدأ بالموت وهو بوابة الدار الآخرة، وما ينتظر المرء بعد موته إلا جنة نعيمها مقيم، أو نار عذابها أليم، فماذا يجب عليك أن تفعلي؟! أتركُ لكِ الإجابة، وأسأل الله أن يلهمك إياها.

لذا أقول لك: أختاه لا أرضى لكِ...

١ - أُختاه... لا أرضى لكِ أن تكوني ملعونة:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان الطبراني في" الأوسط" من حديث عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال:" سيكونُ في آخِرِ أُمَّتي رجالٌ يَركَبونَ على سُروجٍ كأشباهِ الرِّحالِ، يَنزِلونَ على أبوابِ المسجدِ، نساؤُهم كاسياتٌ عارياتٌ، على رؤوسِهِنَّ كأسنِمةِ البُختِ[١] العِجافِ، العنوهُنَّ فإنَّهُنَّ ملعوناتٌ[٢] ..". (السلسلة الصحيحة: ٢٦٨٣)

قال ابن عبد البر-رحمه الله- كما في "تنوير الحالك ١٠٣/٣": أراد النبي ﷺ النساء اللاتي يلبسن من الثياب الشيء الخفيف الذي يصف ولا يستر، فَهُنَّ كاسيات بالاسم عاريات في الحقيقة ". اهـ

٢ - أُختاه... لا أرضى لكِ أن تكوني من المنافقات:

فقد أخرج البيهقي بسند صحيح عن أبي أذينة الصدفي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" خَيْرُ نِسائِكُمُ الوَدُودُ الوَلودُ، المُوَاتِيَةُ، المُوَاسِيَةُ، إذا اتَّقَيْنَ اللهَ، وشَرُّ نِسائِكُمُ المُتَبَرِّجَاتُ المُتَخَيِلاتُ، وهُنَّ المُنافِقَاتُ، لا يدخلُ الجنةَ مِنْهُنَّ إلَّا مثلُ الغُرَابِ الأَعْصَمِ[٣]". (السلسلة الصحيحة: ١٨٤٩)

٣ - أُختاه... لا أرضى لكِ أن تكوني من المجاهرات بالمعصية:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" كُلُّ أُمَّتي مُعافًى إلَّا المُجاهِرِينَ..".

وهل هناك مجاهرة أشد من خروج الفتاة أو المرأة متبرجة عارية تبارز الله بالمعصية.

يا أيتها الأخت الفاضلة...

هلا تدبرتِ قول النبي ﷺ الثابت في صحيح مسلم:" وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ ".

فإذا كانت إماطة الأذى عن الطريق من شُعَبِ الإيمان التي أمر بها رسول الله ﷺ، فأيهما أشد أذى؟! شوكة أو حجر في الطريق، أم فتنة تفسد القلوب، وتعصف بالعقول، وتشيع الفاحشة في الذين آمنوا؟

١ـ البخت: نوع من الإبل.

٢ـ اللعن: هو الطرد من رحمة الله تعالى.

٣ـ الغراب الأعصم: وهو أحمر المنقار والرجلين، وهو كناية عن قلة من يدخل من هؤلاء النسوة الجنة.

اعلمي أُختاه... أن ما من شابٍ يبتلى منك اليوم بفتنة تصرفه عن ذكر الله، وتصده عن صراطه المستقيم، كان بوسعك أن تجعليه في مأمن منها، إلا أعقبك الله منها غدًا نكالًا من لدنه عظيم، فبادري أختاه إلى التوبة ولبس الحجاب؛ صيانة لكِ وللشباب.

٤- أُختاه... لا أرضى لكِ أن تكوني سلاحًا وأداة هدمٍ يستخدمه أعداء الإسلام لهدم الإسلام، وإغواء الشباب:

أتعجب من استجابتك لدعاة التبرج والسفور، وإعراضك عن الرب الغفور، فأنتِ اليوم تواجهين حربًا شعواء ماكرة، يشنها أعداء الإسلام؛ بغرض الوصول إليك، وإخراجك من حصنك الحصين.

قال أحدهم: كأس وغانية تفعلان بالأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوها في حب المادة والشهوات.

وقال غلادستون: لا يستقيم حال الشرق ما لم يُرفَع الحجاب عن وجه المرأة، ويُغطَّى به القرآن.

وتقول آنَّا مليجان: ليس هناك طريقة لهدم الإسلام أقصر مسافة من خروج المرأة المسلمة سافرة متبرجة.

وقال أحد دُعاة التقدم: إن الإيمان في القلوب، لا في ستر الوجه والجيوب.

وقال آخر:

ارفعي عنك الحجاب أو ما كفاك به احتجابا
واستقبلي عهد السفور اليوم واطرحي عنك النقابا
عهد الحجاب لقد تباعد يومه عنا وغابا

فيا أُختاه... أفيقي ولا تنخدعي بهذه الشعارات البراقة، وسارعي إلى مغفرة من ربك وجنَّة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، واقتحمي حصن الشيطان الرجيم وانسفيه بالذكر الحكيم، وارتدي الحجاب طاعة لرب العالمين، **وتذكري دومًا قوله تعالى**:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب:٣٦)

واعلمي أُختاه أن اليهود يعلمون يقينًا قوة هذا السلاح الذي يحاربون به ألا وهو فتنة النساء، إنه سلاح فتَّاك يفتك بشباب الأمة؛ لأنهم ذاقوا مرارة هذا السلاح، ووقعوا في هذه الفتنة من قبل

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن الحبيب النبي ﷺ قال:" فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ ".

فأخذ أعداء الإسلام وعلماء الضلالة الذين تربُّوا على أعين الغرب ينادون بتحرير المرأة، وبخلع الحجاب والدعوة إلى التبرج والسفور باسم الحرية والتقدم.

ولله در القائل:

إنـــا سمعـــنا أختـــنا شيـــئًا عجـــاب قالـــوا كلامًا لا يسر عـــن الحجـاب
قالـــوا خيامـــا علقت فـــوق الرقـــاب قالـــوا ظـــلامًا حالكًا بين الثيـــاب
قالـــوا التـــأخر والتخلـــف في النقـــاب قالـــوا الرشاقـــة والتطـــور في غيـاب
نـــادوا بتحـــرير الفتاة وألفـــوا فيـــه الكتاب رسموا طريقًا للتبرج لا يضيعـــه الشبـاب
يا أختنا هم ساقطون إلى الحضيض من التراب يا أختنا هم سافلـــون بغيِّهم مثل الكـلاب
يا أختنا هـــذا عـــواء الحـــاقدين مـــن الذئاب يا أختنا هذا نبـــاح لا يؤثر في السحـاب
يا أختنا صبرًا تذوب ببحـــره كـــل الصعـاب يا أختنا أنتِ العفيفـــة والمصونة بالحجاب
يا أختنا فيـــكِ العـــزيمة والنزاهة والثـــواب فالنـار مثـــوى الظالمـــين هي لهم عقـــاب
والله يكشـــف ظلمـــهم يـــوم الحســـاب والجنـــة المـــأوى ويا حسن المـــآب

اللّهُمَّ حجب نساءنا، وارزقنا وإياهن الجنة... آمين

ولقد حذرنا النبي ﷺ من اتِّباع طريق أعداء الدين والاستجابة لدعوتهم، وبيَّن أنه سيكون من أمَّتِهِ من يحذو حذوهم، ويتبع هديهم، فقال ﷺ:" لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ! اليَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قالَ: فَمَنْ؟ أي: مَن غيرهم.

(رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ)

فوقع بعض من نسائنا فيما حذَّر منه النبي ﷺ، فنبذن كلام ربهن وراء ظهرهن، وقلن: سمعنا وعصينا، ثم انطلقن وراء مَن قضوا على عفتهن وحررهن من عقيدتهن وخلقهن.

فهؤلاء نذكِّرهُنَّ بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ (النساء:١١٥)

وأوصيك أُختـاه بما وصَّى به محمد بن علي الترمذي حيث قال:" اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره طرفة عين، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نِعَمُه عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه ".

٥- أُختـاه... لا أرضى لكِ أن تتبرجي تبرج الجاهلية الأولى:

قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب:٣٣)

ومعنى الآية كما جاء في تفسير السعدي -رحمه الله-:" لا تكثرن الخروج متبرجات متجملات، أو متطيبات كعادة أهل الجاهلية الأولى، اللاتي لا علم عندهن ولا دين.

وانظري كيف قَرَن النبي ﷺ التبرُّج بالشرك والزنا والسرقة... وغيرها من المحرمات التي تغضب رب الأرض والسماوات.

فقد أخرج أحمد عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال:" **جاءَتْ أُمَيمةُ بنتُ رُقَيقةَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ تُبايِعُه على الإسلامِ، فقال: أُبايِعُكِ على أنْ لا تشرِكي باللهِ شيئًا، ولا تسرِقي، ولا تزني، ولا تقتُلي وَلدَكِ، ولا تأتي ببُهتانٍ تفترينَه بين يدَيكِ ورِجلَيكِ، ولا تَنوحي، ولا تبرَّجي تبرُّجَ الجاهليَّةِ الأولى**"

ولا تظُنِّي أيتها الأخت الكريمة أن تبرج الجاهلية الأولى هو خروج النساء عرايا كما تخرج نساؤنا اليوم، أو يلبسن القصير، أو الشفاف، **بل جاء في وصف تبرج الجاهلية الأولى ستة أقوال كما ذكر ابن الجوزي -رحمه الله- في زاد المسير:**

القول الأول: أن المرأة كانت تخرج فتمشي بين الرجال فهو التبرج. **(قاله مجاهد)**

القول الثاني: أنها مشية فيها تكسر وتغنج. **(قاله قتادة)**

القول الثالث: أنه التبختر. **(قاله ابن أبي نجيح)**

القول الرابع: أن امرأة منهن كانت تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه ثم تمشي وسط الطريق ليس عليها غيره، وذلك في زمن إبراهيم عليه السلام. **(قاله الكلبي)**

القول الخامس: أنها كانت تُلقي الخمار عن رأسها ولا تشده، فيرى قرطها وقلائدها. **(قاله قتادة)**

القول السادس: أنها كانت تلبس الشياب ولا توارى كل الجسد. **(قاله الفرَّاء)**

وزاد القرطبي-رحمه الله- فقال:" إن المقصود بتبرج الجاهلية الأولى هو الخروج من البيت من غير ضرورة ".

فالناظر في هذه الأقوال جميعًا يجد أن المرأة قديمًا لم تصل إلى ما وصلت إليه المرأة اليوم من التبرج والسفور. بل كانت المرأة قديمًا مهما بلغت من الفجور لم تصل إلى ما وصلت إليه المتبرجة اليوم.

وانظري أختـــاه لهذا الحديث والذي لا يحتاج إلى تعليق.

ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ، مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ، قالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، فَنَزَعَتْ خُفَّهَا، فأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا، فَنَزَعَتْ له مِنَ المَاءِ، فَغُفِرَ لَهَا بذلكَ ".

٦- أُختـاه... لا أرضى لكِ أن يَثْقُلَ ميزان سيئاتك:

لأن التبرج يجعل عدَّادَ السيئات في حركة مستمرة كعداد الكهرباء، لا يتوقف إلا إذا دخلت المرأة لبيتها أو لبست حجابها. فصوني أيتها الشريفة المؤمنة جسدك الطاهر من اعتداء الأعين الباغية، وحصِّنيه بالاحتشام لتذودي عنه السهام الباغية، فليست الشريفة الطاهرة مَن تسمح لرجل أن يتمتع ببدنها وأن يلامسه؛ بل الطاهرة هي التي لا تسمح لعين أن تقع على جسدها الطاهر.

وقد أخرج البخاري من حديث أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:" رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ ".

ومعنى ذلك أن تكون المرأة كاسية في الدنيا لغناها وكثرة ثيابها، وعارية في الآخرة من الثواب؛ لعدم العمل الصالح في الدنيا، أو تكون المرأة كاسية بالثياب، ولكنها ثياب شفافة أو ضيقة أو قصيرة لا تستر عورتها، فتعاقب في الآخرة بالعُري جزاءً وفاقًا.

فاحذري أُختـاه... وبادري بستر جسدك في الدنيا، حتى يسترك الله في الآخرة.

وقـفـــة: جاءت فتاة متبرجة إلى شيخ ترجو منه أن يعظ الشباب أن يكفوا أعينهم ونظراتهم المسمومة نحو الفتيات، **فقال لها الشيخ**: أرأيت لو كان عندك إناء مكشوف فيه لحم وتحوم الكلاب حوله، ماذا تفعلين؟ قالت: أهش الكلاب وأدفعهم جهدي، فقال لها: وإن عادوا؟ فقالت: أدفعهم أيضًا، فقال لها: هذا سيطول عليك ولكن الحل بسيط، وهو أن تُغطِّي هذا اللحم المكشوف؛ فينصرفوا عنه ولا يستطيعون الوصول إليه... أَفَهِمتي؟.

٧- أُختـاه... لا أرضى لكِ بأن تكوني ممَّن رضي بهذه الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون:

فإياك أختاه أن تكوني ممَّن رضي بهذه الدنيا واطمأن إليها، **وقد عاتب الله تعالى هذا الصنف فقال:**

﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (التوبة:٣٨)

والنبي ﷺ يبين لنا مدى نعيم الدنيا (والتي يحرص الناس عليها) بالنسبة لنعيم الآخرة (والتي يغفل الناس عنها) **فقال ﷺ:" واللَّهِ ما الدُّنْيا في الآخِرَةِ إلَّا مِثْلُ ما يَجْعَلُ أحَدُكُمْ إصْبَعَهُ هذِه- وأَشارَ يَحْيَى بالسَّبَّابَةِ- في اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بمَ تَرْجِعُ؟ ". (رواه مسلم من حديث المستورد بن شداد ﷺ)**

فلو وضع إنسان منا إصبعه في البحر ثم نزعه فإنه سيتعلق به قطرة أو قطرتين، فهذه القطرات هي متاع الدنيا، وهذا البحر الواسع الشاسع هو متاع الآخرة.

فلا تكوني أختاه ممن رضي بهذه القطرات، وترك هذا اليم، لا تكوني ممَّن رضي بهذه الحياة الفانية، وترك هذا النعيم السرمدي المقيم، والله ﷻ يُبيِّن لنا أن منَّا مَن سيرْضى ويُؤثِر هذا النعيم الزائل على النعيم السرمدي الأبدي (نعيم الجنَّة)، فاحذري أختاه أن تكون من هذا الصنف.

فقال تعالى عن هؤلاء: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (الأعلى:١٦،١٧)

وقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (القيامة:٢٠،٢١)

وقال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ (آل عمران:١٥٢)

وقال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ (التكاثر:١،٢)

أي شغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها. **(انظر مختصر تفسير ابن كثير)**

وما نراه اليوم من زنا وخنا وفجور، وتبرج وسفور، إلا نتيجة طبيعية لحب الدنيا، والركون إليها.

وصدق عيسي عليه السلام حيث قال: " حب الدنيا رأس كل خطيئة ".

والنبي ﷺ بيَّن لنا أن العيش الحقيقي يكون في الجنة.

فكان النبي ﷺ يقول كما عند البخاري:" اللَّهُمَّ لا عيش إلا عيش الآخرة ".

ولزهده في الدنيا كان ينام على الحصير حتى أثَّر في جنبه الشريف، **كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ قال:" نامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ علَى حصيرٍ، فقامَ وقد أثَّرَ في جنبِهِ، فقلنا: يا رسولَ اللَّهِ! لوِ اتَّخَذنا لَكَ وطاءً؟ فقالَ:" ما لي وما للدُّنيا، ما أنا في الدُّنيا إلَّا كراكبٍ استَظلَّ تحتَ شجرةٍ ثمَّ راحَ وترَكَها ". (صحيح الترمذي: ٢٣٧٧)**

فشبه الرسول الدنيا بالظل الذي سرعان ما يزول، أو سنزول نحن عنه.

ولذلك كان النبي ﷺ يقول لابن عمر-رضي الله عنهما- كما في الصحيح:" كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو كعابرِ سبيلٍ ".

أيا عبدُ كَمْ يراك الله عاصيًا حريصًا على الدنيا وللموت ناسيًا
أنسيت لقاء الله واللحد والثرى ويومًا عبوسًا تشيب فيه النواصي
لو أن المرء لم يبلس ثيابًا من التقى تجرد عريانًا ولو كان كاسيًا
لو أن الدنيا تدوم لأهلها لكان رسول الله حيًا وباقيًا
ولكنها تفنى ويفنى نعيمها وتبقى الذنوب والمعاصي كما هي

أُختاه... يقول النبي ﷺ:" الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ[1] مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ[2]، وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ". (رواه الترمذي من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ)

وإنها:" لا تساوي عند الله جناح بعوضة ". كما أخبر بذلك النبي ﷺ (والحديث عند الترمذي)

فلا تغترّي أختاه بالدنيا، ولا يغيب عنكِ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر:٥،٦)

فيا أيتها الدرة المصونة... لا تعظّمي ما حقَّر الله، ولا ترفعي ما أوضعه.

واعلمي... أن الدنيا إلى الجنَّة أو النار طريق، والليالي متجر الإنسان، والأيام سوق، فمن لم يزرع اليوم، تأوَّه نادمًا يوم الحصاد.

واعلمي... أن تبرُّجَكِ علامة على إعراض الله عنك.

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث قتادة بن النعمان ﷺ أن النبي ﷺ قال:" إذا أحبَّ اللَّهُ عَبدًا حماهُ الدُّنيا، كَما يظلُّ أحدُكُم يَحمي سَقيمَهُ الماءَ ". (صحيح الترمذي: ٢٠٣٦)

فلا تركني إلى الدنيا وزخرفها فالموت لا شك يفنينا ويفنيها
واعملي لدارٍ غدًا رضوان خازنها والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهب والمسك طينتها والزعفران حشيش نابت فيها
أنهارها لبن مصفى ومن عسل والخمر يجري رحيقًا في مجاريها
والطير تجري على الأغصان عاكفة تسبح الله جهرًا في مغانيها

١ـ ملعونة: مبغوضة ساقطة.

٢ـ ما والاه: قاربه من الطاعة الموصلة لمرضاة الله تعالى.

فمن يشتري الدار في الفردوس يَعْمُرها بركعــةٍ في ظــلام اللـيل يُحييهــا

أُختـاه... إذا أردت أن تعرفي أدنى أهل الجنة منزلة فاقرئي هذا الحديث.

حديث أخرجه الإمام مسلم عن المغيرة بن شعبة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، ما أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قالَ: هو رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ ما أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فيُقالُ له: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، كيفَ وقدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنازِلَهُمْ، وأَخَذُوا أخَذاتِهِمْ، فيُقالُ له: أتَرْضَى أنْ يَكونَ لكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِن مُلُوكِ الدُّنْيا؟ فيَقولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فيَقولُ: لكَ ذلكَ، ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ، فقالَ في الخامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فيَقولُ: هذا لكَ وعَشَرَةُ أمْثالِهِ، ولَكَ ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، ولَذَّتْ عَيْنُكَ، فيَقولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قالَ: رَبِّ، فأعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أرَدْتُ غَرَسْتُ كَرامَتَهُمْ بيَدِي، وخَتَمْتُ عليها، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، ولَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، ولَمْ يَخْطُرْ علَى قَلْبِ بَشَرٍ ".

فانظري أُختـاه... بين من تتقلب في السعادة الموهومة، مهما بلغت من مال أو شهرة أو جاه أو منصب، وبين أدنى أهل الجنة منزلة؛ لتعلمي أين السعادة الحقيقية، فأكثر الناس يعرضون عن الله ﷻ ويظنون أن السعادة المفقودة والغاية المنشودة هي في طلب المال أو الشهرة أو التبرج أو الشهوات أو الوصول إلى المناصب وأعلى الشهادات، فتضيع الأعمار النفيسة في طلب الأغراض الخسيسة، والشهوات الدنيوية، واللذات الدنية، ولا يجدون إلا الهمّ والغمّ والحزن والضنك، فالسعادة الحقيقية هي في طاعة رب البرية، فالقلوب لا تصل إلى مُناها حتى تتصل بمولاها، **وصدق ربنا ﷻ حيث قال:** ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه:١٢٣،١٢٤)

قال ابن القيم -رحمه الله- كما في "الداء والدواء":" فإن الله ﷻ رتب المعيشة الضنك على الإعراض عن ذكره، فالمُعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب إعراضه وإن تَنَعَّم في الدنيا بأنواع النعم، ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب، والأماني الباطلة والعذاب الحاضر. اهـ

٨- أُختـاه... لا أرضى لكِ أن تطيلي الأمل فتسيئي العمل:

فالله تعالى حذرنا أن نكون من هؤلاء الذين أطالوا الأمل فأساءوا العمل.

قال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ **(الحجر:٣)**، أي: دعهم يعيشوا كالأنعام ولا يهتمون بغير الطعام والشراب، ويشغلهم طول الأمل عن الاستقامة والأخذ بطاعة الله؛ لأنه بسبب طول الأمل تقل الطاعة، وتتأخر التوبة، وتكثر المعصية، ويشتد الحرص ويقسو القلب وتَعْظُم الغفلة.

ولذلك كان النبي ﷺ يخاف علينا طول الأمل فقال فيما يرويه الحاكم:" إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوي وطول الأمل، فأما اتباع الهوي؛ فيصد عن الحق، وأما طول الأمل؛ فينسي الآخرة ".

(والصحيح أن هذا الحديث موقوف على عليٍّ بن أبي طالب ﷺ)

وصدق القائل حيث قال:

يا مـــن بدُنيـــاه اشتغل وغـرَّه طـول الأمـل
وقد مضى في غفلة حتى دنـا منه الأجل
المـــوت يأتـــي بغتـة والقبر صندوق العمل

فلابد أن تعلمي: أن الدنيا مهما طالت فهي قصيرة، ومهما عظمت فهي حقيرة، وأن الليل مهما طال فلابد من طلوع الفجر، وأن العمر مهما طال فلابد من دخول القبر.

فيا مغرور بطول الأمل، يا مسرور بسوء العمل، كن من الموت على وجل، فما تدرى متى يهجم الأجل، **والأمر كما قال القائل:**

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

وقال آخر:

أؤمـل أن أُخلَّـد والمنـايـا تدور علي مـــن كل النـــواحي
وما أدرى وإن أمسيت يومًا لعلِّي لا أعيش إلى الصباح

فاحذري أُختـاه... من السين وسوف فإنهما من أكبر جنود إبليس، فلا تقولي: سأتحجب، أو سوف أتحجب، أو سأصلي ولكن يجب عليك المبادرة، فالموت يأتي فجأة.

فلا ترجي فعل الخير إلى غد لعلَّ غدًا يأتي وأنت فقيدة

واعلمي أختاه... أن كل يوم يمر عليك يقرِّبُكِ إلى أجلك، ويبعدكِ عن أملك.

كما قال الحسن البصري-رحمه الله-:" يا ابن آدم.. اعلم أنك أيام معدودة، كلما مرَّ يوم؛ مرَّ جزء منك.

وقال بعضهم: يا ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك.

وقال آخر:

إنـــا لنفـــرح بالأيـــام نقطعهـــا وكل يوم مضى يُدني من الأجل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدًا فإنما الربح والخسران في العمـــل

وقال آخر:

نسـير إلى الآجال في كل لحظة وأيـامنا تطـوى وهن مراحل

فارحل من الدنيا بـزاد مـن التقي فعــمــرك أيــامٌ وهـن قلائل

قال ابن قدامة-رحمه الله-:" اغتنم يرحمك الله حياتك النفيسة، واحتفظ بأوقاتك العزيزة، واعلم أن مدة حياتك محدودة وأنفاسك معدودة، فكل نفس ينقص به جزء منك، والعمر كله قصير والباقي منه هو اليسير، وكل نفس جوهرة نفيسة لا عدل لها ولا خلف منها، فإن بهذه الحياة اليسيرة خلود الأبد في النعيم المقيم أو العذاب الأليم، فلا تضع جواهر عمرك بغير عمل، وتذهبها بغير عوض، واجتهد ألا يخلو نفس من أنفاسك إلا في عمل طاعة، أو قربة تتقرب بها إلى الله، فإنه لو كان معك جوهرة من جواهر الدنيا لساءك ذهابها، فكيف تفرط في ساعاتك وأوقاتك؟ وكيف لا تحزن على عمرك الذاهب بغير عوض؟". اهـ

أُختـاه... انظري إلى قول النبي ﷺ:" مَن قالَ: سُبحانَ اللَّهِ العظيمِ وبحمدِهِ، غُرِسَت لَهُ نَخلةٌ في الجنَّةِ ". (رواه الترمذي من حديث جابر ﷺ وهو في صحيح الترمذي: ٣٤٦٥)

فأي مجهود بذلتيه؟ وأي وقت استغرقتيه وأنت تقولين هذا الكلام؟

فكم ضيَّعنا من نخيل؟ وكم ضيَّعنا من أوقات؟

فالمبادرة... المبادرة أختاه، فعند دخول القبر يتمنى الإنسان الرجوع إلى الدنيا ليقول: "سبحان الله، أو الحمد الله"، أو يركع بين يدي الله ركعة ليزيد في حسناته، أو يمحو من سيئاته، ولكن هيهات... هيهات، رُفِعت الأقلام وجفَّت الصحف، فلا هو في حسناته زائد ولا إلى دنياه عائد.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه أبو نعيم عن أبي هريرة ﷺ قال:" مر النبي ﷺ على قبر دُفِن حديثًا، فقال: رَكْعتانِ خَفيفتانِ بِما تَحقِرُونَ وتَنفِلُونَ يَزيدُهما هذا في عملِهِ أحَبُّ إليه من بقيَّةِ دُنياكُمْ ". (صحيح الجامع: ٣٥١٨)

فهذا الميت يتمنى أن لو خرج من قبره ليُصلِّي ركعتين مما نترك نحن، فاحمدي الله أختاه، **واصطلحي مع الله...** فأنتِ في أمنية كثير من الأموات.

وأوصيك بما أوصى به النبي ﷺ هذا الرجل، حيث قال له كما عند الحاكم في المستدرك:" اغْتَنِمْ خَمْسًا قبلَ خَمْسٍ: شَبابَكَ قبلَ هِرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ، وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ، وفَرَاغَكَ قبلَ شُغْلِكَ، وحَياتَكَ قبلَ مَوْتِكَ ". (صحيح الترغيب: ٣٣٥٥)

ألستِ معي أختاه أن الأمر خطير ويحتاج إلى وقفة؟!

٩- أُختاه... لا أرضى لكِ أن تكوني من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا:

فإن المرأة إذا خرجت استشرفها الشيطان، فهو يتعمد إخراج المرأة من خدرها بارزة عن مفاتنها أمام الأجانب، ولا عجب في ذلك فهي سهمه الذي يصيب به فلا يخطئ، فيصيب به الشباب في مقتل، فتكون هذه المتبرجة سبب لفتنته وإغوائه وصرفه عن عبادة ربه.

ولذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (النور:١٩)

ولَكَمْ سمعنا عن فواحش قد أُرتُكِبت، ونساء قد أُغْتُصبت، ومحارم قد انتُهِكت بسبب تبرج النساء.

فنسأل الله أن يرد نساء المسلمين إليه ردًا جميلًا.

١٠ – أُختاه... لا أرضى لكِ أن تُحشري مع الكافرات يوم القيامة:

فقد أخرج الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال:" إياكم والتَّنعُم وزي أهل الشرك ".

فأهل الشرك ليس لهم دينٌ يحكمهم، فيفعلون ما يريدون، ويلبسون ما يشاءون، بخلاف أهل الإسلام، فلهم دين يحكمهم، وشريعة يرجعون إليها، فلا ينبغي أن يتشبَّه هؤلاء بهؤلاء.

والنبي ﷺ حذَّر من هذا، فقال كما عند الترمذي:" ليس منَّا مَن تشبَّه بغيرنا ".

وأخرج الإمام أحمد بسنده أن النبي ﷺ قال:" مَن تشبَّه بقوم فهو منهم ".

هل تحبين أن تتشبهي بالكافرات، أو بالمتبرجات المنافقات؛ فتُحْشري معهن، وتعانين من اللفحات؟

أم تحبين أن تتشبهي بالمؤمنات الطاهرات العفيفات؛ فتُحشري معهنَّ في جنَّةٍ عرضها كعرض الأرض والسموات؟

١١- أُختاه... لا أرضى لكِ أن تكوني من أهل النار- أعاذك الله منها-:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" صِنْفانِ مِن أهْلِ النَّارِ لَمْ أرَهُما، قَوْمٌ معهُمْ سِياطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بها النَّاسَ، ونِساءٌ كاسِياتٌ عارِياتٌ مُمِيلاتٌ مائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِن مَسِيرَةِ كَذا وكَذا ".

والنساء الكاسيات العاريات هن اللاتي يلبسن ثيابًا شفافة أو ضيقة أو قصيرة لا تستر عوراتهن.

أُختاه... إذا كنت تجدين لذة في هذه الثياب العارية، أو التي تبرز مفاتن جسدك، وذلك لما تجدينه من نظر الناس إليك وإعجابهم بك، فتذكري نظر الله إليك، فلا تجعلي الله أهون الناظرين إليك

وأقــول لك أُختــاه... كيف تهنأين بعيش آخره النار؟؟... فلا خير في لذة من بعدها النار.

أسأل الله أن يستركِ في الدنيا والآخرة، وأن يعيذك من النار، ويجعل سكناك في أعلى الجنان

أُختــاه... أُذكِّرك بقول الحبيب النبي ﷺ الثابت في صحيح البخاري:" كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَى، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَن يَأْبَى؟ قالَ: مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أَبَى ".

فكيف يطيب لمسلمة تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؟ أن تصر على معصية الله تعالى ومعصية رسوله ﷺ بتبرجها وعدم التزامها بالحجاب الشرعي.

فهيا أُختــاه... ابدئي عهدًا جديدًا مع رب العالمين، وألزِمي نفسك بطاعته ومراقبته والخوف منه؛ لأن الخوف سراج في القلب يحرق مواضع الشهوات فيه ويطرد الدنيا منه، فيتحرر من قيود الهوى لينطلق ويسكن تحت العرش، أما القلب الخالي من الخوف فهو قلب خرب، عشعش فيه الشيطان فلم يعد للإيمان فيه مكان، فالخوف من الله هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعة، **والأمر كما قال الفضيل-رحمه الله-:**" من خاف الله دلَّه الخوف على كل خير".

فيا أُختــاه... متى تستيقظين من رقدتك؟ متى تنتبهين من غفلتك؟ متى تفيقين من سكرتك؟ متى تعملين لمصرعك؟ قارني بين الدنيا والآخرة، وبين الفناء والخلود، وبين الجنة والنار، وبين الفوز والخسارة، وبين النعيم والجحيم، وبين السعادة والعذاب، ثم اختاري ما بدا لك.

فإذا بان لك الحق، وظهر لك الطريق، فلتبدئي بالمسير قبل المصير، واعلمي أن الطريق طويل لكنه على الشوق يهون ومع اليقين يسهل، والزاد للطريق هو طاعة الرحمن ومخالفة الشيطان، وفي نهاية الطريق ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وستكونين هناك في جنة النعيم مع سيد المرسلين، وستتمتعين بلذة النظر إلى وجهه الكريم، واعلمي أن أول خطوة على هذه الطريق تبدأ بالتوبة النصوح.

فيا أختــاه... التوبة والعمل قبل انقضاء الأجل، أُختــاه... التوبة والحجاب قبل الحساب.

اعلمي أُختــاه... أن الله غفور رحيم، يغفر الذنب، ويقبل التوبة، ويستر العيب، وهو القائل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر:٥٣)

وهو القائل: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء:١١٠)

فإذا كانت رحمة الله قريبة من المحسنين، فهي ليست ببعيدة عن المسيئين.

أُختـاه... فما عليك إلا أن ترفعي يديك في ذل وانكسار وخضوع وتقولي:" اللّهُمَّ أسألك بعزك وذلي، وبقوتك وضعفي، وبغناك عني وفقري إليك، أن تغفر لي وترحمني، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثير وليس لي سيد سواك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ".

ساعتها يغفر الله بمشيئته ما تقدَّم من ذنبكِ مهما كان.

ويقول الله تعالى في الحديث القدسي الذي رواه الترمذي:" يا ابنَ آدمَ! إنك ما دعوْتَنِي ورجوتني غفرتُ لك على ما كان فيك ولا أُبالي، يا ابنَ آدمَ! لو بلغت ذنوبُك عنانَ السماءِ[1] ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أُبالي، يا ابنَ آدمَ! إنك لو أتيتني بقُرابِ الأرضِ[2] خطايا ثم لقيتَني لا تُشركُ بى شيئًا؛ لأتيتُك بقُرابِها مغفرةً ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦١٦) (صحيح الترمذي: ٣٥٤٠)

فيا كـبير الذنب عفو الله مــن ذنـبــك أكـــبر

أعظـم الأشياء في جانب عفـــو الله تُغْفـــر

فعليك أُختـاه بالمبادرة... فإنما هي أنفاس لو حُبست عنكِ، انقطعت أعمالك التي كنتِ تتقربين بها إلى الله.

فالتوبة أُختـاه... قبل أن يدهمك الموت، ويهجم الدود، وينخر العود، وتسيل المآقي على الخدود، وعندها لابد من سؤال وهو لماذا تبرجت؟ ولابد أيضًا من الجواب، فماذا تقولين؟ أتقولين: تبرجت حبًا في معصية الله ورسوله؟ أم تقولين: تبرجت كراهيةً للحجاب الذي فرضه الله تعالى؟ أم ماذا تقولين؟! فلابد أختاه من الجواب، ولا ينجي عندها إلا الصواب. فأعدي للسؤال جوابًا، وللجواب صوابًا هداك الله.

وقـفـة:

سمع الفضيل بن عياض-رحمه الله- رجلًا يقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، قال الفضيل له: يا هذا. أتعرف ما معناها؟ قال: نعم. أعلم أني لله عبد، وأني إليه راجع، قال الفضيل: مَن علم أنه لله عبد، وأنه إليه راجع، علم أنه موقوف بين يديه، ومـن علم أنه موقوف علم أنه مسئول، ومن علم أنه مسئول فليعد للسؤال جوابًا، فبكى الرجل وقال: ما الحيلة؟

قال الفضيل: يسيرة، قال الرجل: ما هي يرحمك الله؟ قال الفضيل: أن تتقي الله فيما بقي يغفر الله لك ما قد مضى.

١ـ العَنان: ما عَنَّ منها، أي: ما ظهر والمقصود هو: السحاب .

٢ـ قراب الأرض: أي ما يقارب ملء الأرض .

يا ذا الجلال ويا ذا الجود والكرم إني أتيتك أخشى زلة القدم
ذنبي عظيم وأرجو منك مغفرة يا واسع العفو والغفران والكرم
دعوت نفسي إلى الخيرات فامتنعت وأعرضت عن طريق الخير والنعم
خسرت عمري وقد فرطت في زمني في غير ما طاعة المولى فيا ندمى
ذي حالتي وانكساري لا تخيبني أرجو الرضا منك بالغفران والكرم

فعليك أُختاه... أن تلزمي بابه، ولا تتواني في الطرْق عليه عَلَّهُ يفتح لك ويشملك برحمته الواسعة، فلو أغلق بابه دونك فإلى من ستذهبين؟.

واعلمي أُختاه... أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزمًا وقصدًا، وعلامة الندم طول الحزن والبكاء، فإن من استشعر عقوبة نازلة لولده أو من يعزُّ عليه لطال بكاؤه واشتدت مصيبته، وأي عزيز أعز عليه من نفسه؟ وأي عقوبة أشد من النار؟ وأي سبب أدل على نزول العقوبة من المعاصي؟ وأي مُخبرٍ أصدق من الرسول ﷺ.

فهيا أيتها الغالية... قولي كما قال موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (طه:٨٤)

شُروط التوبة:

١- الإقلاع عن المعصية.

٢- النـــدم على فعلها.

٣- العزم على عدم العودة إليها.

وإذا فُقد أحد هذه الشروط الثلاثة لم تصح التوبة، ويزداد شرط رابع إذا كان الذنب يتعلق بحق آدمي فعليه إذًا أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كان مالًا أو نحوه ردَّه إليه، وإن كان حد قذف مكَّنه منه أو طلب عفوه، وإن كان غيبة استحلها منه.

يـــا رب أذنبت ذنـــوبًا لست أنكـــرها وقـــد رجـوتك يـا ذا المـــنِّ تغفرهـا

أرجوك تغفرها في الحشر يا سندي إذ كنت يا أملي في الأرض تسترها

فيا أيتها الأخت الفاضلة...أناديك بنداء الله تعالى وأقول لك: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الحديد:١٦)

فهيا... هيا... أعلنيها مدوية تملأ أرجاء الكون، تقرع آذان المفسدين، وقولي: بلى. يا رب قد آن.

وقولي أيتها العفيفة كما قال المؤمنون والمؤمنات من قبل: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة:٢٨٥)

فهيا أيتها الأخت الفاضلة... ترجمي أوامر الله إلى واقع عملي حبًا وكرامة للإسلام واعتزازًا بشريعة الرحمن، وسمعًا وطاعة لسنة خير الأنام كما فعل أسلافك من المهاجرات.

فقد أخرج البخاري عن عائشة -رضي الله عنها- قالت:" يرحم الله نساء المهاجرات لما أنزل الله ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ (النور:٣١) شققن مروطَهُنَّ فاختمرن بها".

فكانت الاستجابة على التوِّ والفور، فإياكِ والتسويف فإن الموت يأتي بغتة.

فيا أيتها الأخت الفاضلة... ألستِ من نساء المؤمنين؟

فانظري إلى قول رب العالمين عندما خاطب الرسول الأمين بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ **(الأحزاب:٥٩)**

فيا له من شرف عظيم أن تنضمي أختاه لتلك القافلة المباركة التي على رأسها أزواج النبي ﷺ، وإذا نظرت أختاه في الآية السابقة؛ وجدت أن الله تعالى لم يخاطب بالحجاب إلا كل مؤمنة تؤمن بالله واليوم الآخر، **كما قال تعالى:** ﴿وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ﴾ **(الأحزاب:٥٩) ؛وفي آية أخرى:** ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ﴾ **(النور:٣١)** ؛ وذلك لأن الاستجابة لأمر الله لا تكون إلا من المؤمنة الصادقة، والحجاب نوع من أنواع الابتلاء-أي الاختبار- وهو الذي يميز بين المؤمنة الصادقة وبين التي تدَّعي الإيمان وحب الرحمن.

فالحجاب مشهد من مشاهد العبودية لله ﷻ؛ لأن الذي أمر به هو الله تعالى.

ولما دخل نسوة من بني تميم على أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عليهن ثياب رقاق، قالت:

" إن كنتن مؤمنات فليس هذا بلباس المؤمنات، وإن كنتن غير مؤمنات فتمتعن به ".

وصدق القائل حيث قال:

حب السفور وحب إيمان في قلب أخت ليس يجتمعان

قولي يا إلهي:

لأجعلن رضاك أكبر همتي ولأضربنَّ من الهوى شيطاني
ولأكسون عيوب نفسي بالتقى ولأقبضن عن الفجور عناني
ولأمنعن النفس عن شهواتها ولأجعلن الزهد من أعواني
ولأتلون حروف وحيك في الدجى ولأحرقن بنوره شيطاني
ولأحجبن ذاك الجمال عن الورى كي لا أثير حفيظة الشبان
واخَجْلتي من عرض لحمي سلعة يروى ظمأ الفاسق الولهان
رب رجعت إليك أعلن توبتي فاقبلها مني يا عظيم الشان
حبِّب إلى نفسي الحجاب ولبسه كرّه إلي تبرج العصيان

أُختـاه... إذا قرأتِ هذا الكلام ومَنَّ الله عليكِ بنعمة الهداية، وأردتِ أن تصطلحي مع الله وتلبسي الحجاب، ثوب العفيفات الطاهرات؛ فعليك أن تعرفي شروطه.

شُـرُوط الحجـاب:

١- أن يكون مستوعبًا لجميع البدن بلا استثناء، لقوله ﷺ: " المرأة عورة ". (رواه الترمذي)

٢- ألا يكون الحجاب زينة في نفسه، أو ذا ألوان جذابة تلفت الأنظار، **لقوله تعالى:** ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ **(النور:٣١)** كما ينبغي على المرأة ألا تلفت أنظار الرجال بثوبها وتغريهم بألوانه.

٣- أن يكون صفيقًا لا يشف، لقولـه ﷺ: " سيكونُ في آخِرِ أُمَّتي رجالٌ يَركَبونَ على سُروجٍ كأشباهِ الرِّحالِ، يَنزِلونَ على أبوابِ المسجدِ، نساؤُهم كاسياتٌ عارياتٌ على رؤوسِهِنَّ كأسنِمةِ البُختِ العِجافِ، العنوهُنَّ فإنَّهُنَّ ملعوناتٌ... ". (أخرجه أحمد والطبراني في المعجم الأوسط عن عبد الله بن عمرو وهو في الصحيحة:٢٦٨٣)

قال ابن عبد البر-رحمه الله-: " أراد النساء اللواتي يلبسن من الثياب الشيء الخفيف الذي يصف ولا يستر، فهن كاسيات بالاسم عاريات في الحقيقة ".

٤- أن يكون واسعًا فضفاضًا غير ضيقٍ، فيصف شيئًا من جسمها، أو يظهر أماكن الفتنة في جسدها.

٥- ألاّ يكون مُبخَّرًا مُطيَّبًا، لقولـه ﷺ: " أيما امرأةٍ استعطرتْ فمرتْ على قومٍ ليجدوا من ريحِها فهي زانيةٌ ". (أخرجه النسائي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه) (صحيح النسائي: ٥١٤١)

٦- ألا يشبه لباس الرجل، لقول أبي هريرة رضي الله عنه: " لعنَ رسولُ اللَّهِ ﷺ الرَّجلَ يلبسُ لُبسةَ المرأةِ، والمرأةَ تلبسُ لُبسةَ الرَّجلِ ". (رواه أبو داود)

٧- ألا يشبه لباس الكافرات، لقوله ﷺ: " من تشبَّهَ بقومٍ فهوَ منهم ". (رواه أحمد وأبو داود) (صحيح أبي داود: ٤٠٣١)

مثل أن يكون قصيرًا أو سافرًا، ويحسن تعويد الفتاة الحشمة، وارتداء الطويل من الملابس.

٨- **ألا يكون لباس شهرة**: وهو كل ثوب يقصد به الاشتهار بين الناس، سواء كان الثوب نفيسًا يُلبَس تفاخرًا، أو خسيسًا يُلبَس إظهارًا للزهد والرياء.

لقوله ﷺ:" من لبس ثوبَ شهرةٍ ألبسَه اللهُ يومَ القيامةِ ثوبَ مذلَّةٍ وفي رواية:" ثوبًا مثلَه- ثم تلهبُ فيه النارُ ". (أخرجه أبو داود والنسائي في" السنن الكبرى" وابن ماجه وأحمد عن ابن عمر-رضي الله عنهما-) صحيح أبي داود: ٤٠٢٩ و ٤٠٣٠)

وأخيرًا أقول لكِ:

أختـــاه يا أمـــة الإلـــه تـحشَّمي لا تـرفعي عنك النقـاب فتنـــدمي
صوني جمالك إن أردت كرامـــــة كي لا يصـــول عليك أدنى ضيغم
لا تُعْرضي عن هدى ربك ساعـــة عُضِّي عليـــه مدى الحيـــاة لتغنمي
ما كان ربك جائـــرًا في شرعـــــه فـــاستمسكي بعـــراه حتى تسلمي
ودعـي هراء القائـــلين سفاهـــة إن التقـدم في السفـــور الأعجمي
إيـاك إيـاك الخـــداع بقولهـــم سمراء يـا ذات الجـمـــال تقدمي
إن الذيـــن تبرءوا عـــن ديـنهـــم فهـــم يبيـعون العفـــاف بـــدرهم
حُـلل التبرج إن أردت رخيـصـــة أما العفـاف فدونـــه سفك الـــدم
حسنـاء يـا ذات الـدلال فـــإنني أخشى عليك من الخبيث المجرم
لا تعرضي هذا الجمال على الورى إلا لـــزوج أو قـــريـب مَحـــرم
لا تـرسلي الشعر الحريـر مُرجَّـــلًا فالرجـال حولك كالذئاب الحـــوَّم
لا تـــمنحي المستشرقيـن تـــبسمًـــا إلا ابتسـامـــة كـاشر متهجـــم
أنـا لا أحبـــذ أن أراك طلـيقـــة شرقًا وغربًا في الجنـــوب ومشأم
أنـــا لا أريـــد أن أراك جهـولـــة إن الـجـهـــالة مـــرة كالعلقـــم
فتـعـلمي وتـــثقفي وتـنـــوري والـحـــق يـا أختاه أن تتعـــلـمي
ولكنى أمـسي وأصبـح قـائـــلًا أختـــاه يا أمـــة الإلـه تحشمي

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله- تعالى- أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللّهُمَّ اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى- أعلى وأعلم.

سبحانك اللّهُمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

المحتويات

مُقَدِّمَة ٢
نبض الرسالة ٣
شُرُوط التوبة: شُرُوط الحجاب: ٥
أولًا: فضل بعض الأمور المتعلقة بالسفر: ٥
١- فضل السفر بالليل: ٥
٢- فضل الذكر والطاعة في السفر: ٥
٣- فضل الإكثار من الدُّعاءِ في السَّفرِ: ٧
ثانيًا: فضل بعض الأمور الخاصة بالثياب: ٧
١- فضل من تبذل ولبس الدون من الثياب مع القدرة زهدًا وتواضعًا لله تعالى: ٧
٢- فضل لبس الثياب البيضاء: ١١
الملائكة والثياب البيضاء: ١١
٣- فضل القميص: ١٢
٤- فضل الدعاء عند لبس ثيابٍ جديدة: ١٢
٥- فضل من جاد بالثياب لمن يحتاج إليها: ١٢
ثالثًا: فضل الحجاب ١٣
١- الحجاب طاعة لله عز وجل وطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم: ١٣
٢- الحجاب دليل على تقوى الله: ١٤
٣- الحجاب عنوان للمرأة الحرة: ١٥
٤- الحجاب حياء: ١٦
٥- الحجاب ستر: ٢١
٦- الحجاب عفة: ٢١
٧- الحجاب طهارة: ٢٢
صرخة إنذار لكل أخت متبرجة ٢٢
أُختاه... هل تريدين الجنَّة؟ ٢٢
أختاه... تذكري..!! ٢٥

أُختاه... تذكري أن الموت قادم..... ٢٥
أُختاه... تذكري لحظة دخولك القبر:..... ٢٦
أُختاه... تذكري شدائد يوم القيامة:..... ٢٧
أُختاه... تذكري وقوفكِ بين يدي الله الجليل:..... ٢٨
أُختاه... تذكـــري المـيـزان:..... ٢٩
أُختاه... تذكري يوم تشهد عليك الجوارح والأركان:..... ٢٩
أُختاه... تذكري تطاير الصحف:..... ٣٠
أُختاه... تذكري مجيء جهنم:..... ٣٠
أُختاه... تذكري أن نعيم الدنيا كله لا يساوي غمسة في جهنم..... ٣١
أُختاه... تذكري الصراط وأهواله:..... ٣٣
١- أُختاه... لا أرضى لكِ أن تكوني ملعونة:..... ٣٦
٢- أُختاه... لا أرضى لكِ أن تكوني من المنافقات:..... ٣٦
٣- أُختاه... لا أرضى لكِ أن تكوني من المجاهرات بالمعصية:..... ٣٦
٤- أُختاه... لا أرضى لكِ أن تكوني سلاحًا وأداة هدمٍ ٣٧
٥- أُختاه... لا أرضى لكِ أن تتبرجي تبرج الجاهلية الأولى:..... ٣٩
٧- أُختاه... لا أرضى لكِ بأن تكوني ممَّن رضي بهذه الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون:..... ٤٠
٨- أُختاه... لا أرضى لكِ أن تطيلي الأمل فتسيئي العمل:..... ٤٣
٩- أُختاه... لا أرضى لكِ أن تكوني من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا:..... ٤٦
١٠ – أُختاه... لا أرضى لكِ أن تُحشرِي مع الكافرات يوم القيامة:..... ٤٦
١١- أُختاه... لا أرضى لكِ أن تكوني من أهل النار- أعاذك الله منها-:..... ٤٦
شُـرُوط التـوبة:..... ٥٠
شُـرُوط الحجـاب:..... ٥٢